اثنا عشر عاما

في صحبة أمير الشعراء

تأليف

أحمد عبد الوهاب أبو العز

الكتاب: اثنا عشر عاما في صحبة أمير الشعراء

الكاتب: أحمد عبد الوهاب أبو العز

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

أبو العز,عبد الوهاب ، أحمد

اثنا عشر عاما في صحبة أمير الشعراء / أحمد عبد الوهاب أبو العز

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٥٦ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٤ – ١٥٦ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٥٤١٣ / ٢٠٢١

اثنا عشر عاما
في صحبة أمير الشعراء

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

إهداء

إلى الزهرتين اللتين لم أشهد أعز منهما على روح أمير الشعراء.

إلى حفيديه المحبوبين أقدم كتابي هذا رمز إخلاص ووفاء.

أحمد عبد الوهاب أبو العز

٢١ نوفمبر سنة ١٩٣٢

مقدمة

بسم الله أبدأ وعليه أتوكل..

كان من علامات توفيق الله أن هيأت الظروف التحاقي بخدمة أمير الشعراء فقيد العربية أحمد شوقي بك، وشاء الله أن يتوج اسمي بلقب السكرتير لهذا الرجل العظيم.

ولقد أتاح لي هذا التوفيق الذي رزقته أن أكون من هذه العظم عن كثب، وأن أنزل من هذه العبقرية الفذة في موضع سرها وكاتب وحيها، وزاد الله في النعمة فوسع لي في المنة ومتعني بها ما شاء الله أن أتمتع؛ فألهم مولاي رحمة الله رحمة واسعة وجزاه عني أفضل ما يجازى به متبوع عن تابع أن يجدد رضاه عليَّ ويضاعف ثقته فيَّ؛ فكنت كل يوم أجده أكثر عطفاً عليَّ وإقبالا نحوي أكثر من اليوم الذي سبقه، حتى لقد قال لي يوم وفاة والدي مواسيًا: "أما ترضى أن أكون لك والدًا منذ اليوم؟" وهكذا تسنى لي أن ألتزم هذه الشخصية النادرة ملازمة نادرة أيضاً؛ فقد كنت أقابل مولاي في كل صباح فلا يتركني ولا أتركه إلا بعد نصف الليل بساعة أو بساعتين، وعلى الأخص في السنوات الأخيرة؛ فقد كنت في تبعيته أكاد أكون وظله سواء وكذلك هيىء لي أن أعرف من حقيقته ما أصبحت أشعر أن من حق كل أديب ومتأدب أن يعرفه، بل من حق كل إنسان أن يعرفه بل لقد أصبحت أشعر أن من الخيانة والعقوق للأدب وللحق معاً أن لا أذيع كل ما أعرفه عن شخصية «أحمد شوقي بك».

أجل.. إن من حق كل أديب، بل من حق كل عربي، بل من حق كل إنسان أن يعرف كيف كان «أحمد شوقي بك» يعيش لأنه لم يكن يعيش لنفسه وحسب، وإنما كان يعيش للملايين الناطقة بالعربية، بل لمئات الملايين التي يتطلع بها الشرق كله إلى استرجاع مجده القديم.

وأشهد أني ما رأيته يعيش لنفسه ساعة واحدة، وإنما كان أبداً عاملاً في ما هو مسير له من ناحيته الأدبية والفكرية لخير الملايين الذين يقرأون العربية في جميع أقطارها.

وإذن فمن حق هذه الملايين من الناس أن تعرف كل شيء عن هذه الشخصية التي تركت في كل قلب أثراً لا تكاد تبليه السنون. فأنا في هذا الكتاب أريد أن أكتب لا عن شوقي بك، ولكني أريد أن أكتب عن حقيقة شوقي بك. أريد أن أكتب كيف كان يعيش كوالد لأبناء وكأخ لإخوة وكجد لأحفاد وكصديق لأصدقاء.. أريد أن أكتب عنه كإنسان كان يضرب في الحياة ويساهم فيها ليعرف الناس جميعاً أنه كان في أبوته وأخوته وحفادته وصداقته وفي مساهمته في كل ضروب الحياة عنوان الشاعرية المتدفقة بالعطف والحب والحنان، وأنه كان في كل حركة من حركاته وخطوة من خطواته أو مسعى من مسامعه شاعرًا بكل ما في هذه الكلمة من إخلاص وحب ونقاوة ضمير.

ولست أزعم أني في هذا الكتاب سأدوِّن كل ما كان ينطق به فقيد الشعر من درر غوال وحكم عوال أو كل ما كان يقع أو يتفق له في حياته الحافلة بجلائل الأقوال والأعمال. كلا، فإن هذا لا يتسع له إلا أضعاف

حجم هذا الكتاب. ولكني أريد أن أضع شبه نماذج أو رؤوس مواضيع إن لم تكن هي كل ما صدر عن المرحوم أمير الشعراء قولا أو عملا، فإن كل ما صدر عنه لم يخرج عن هذا النوع الذي أتولى إذاعته الآن.

ففي هذا الكتاب يعرف القراء كيف كان شوقي بك ينظم لآلئ شعره، وعلى أي صورة كان ذلك وفي أي الأوقات كان يحبب إليه النظم.. وفي هذا الكتاب أيضاً يعرف القراء كيف كان يتريض، وكيف كان يعمل، وكيف كان يجد، وكيف كان يلهو، وكيف كان يحب، وكيف كان يكره.. وفي الجملة يعرف القراء كيف كان يخالط الحياة ويمتزج بها كما يختلط بها كل إنسان يعج قلبه بحب هذه الحياة. وأحسب أن قراء العربية جميعاً إلى ذلك جد متشوقين، بل إني لأحسبهم إلى ذلك جد طالبين لي ودائنين.

وبعد فإني لا أرجو من وراء هذا الكتاب إلا أن أكون أديت ما عليَّ نحو الوفاء لمولاي وللحق وللتاريخ، والله بيني وبين الناس فيما أباغتهم إياه وهو حسبي وكفى.

أحمد عبد الوهاب

حياة أمير الشعراء بقلمه

إلى أن قطع العقد الثالث من عمره[1]

سمعت أبي رحمة الله يرد أصلنا إلى الأكراد العرب، ويقول إن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وصية من أحمد باشا الجزار إلى والي مصر مُحَمَّد علي باشا، وكان جدي وأنا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابة العربية والتركية خطا وإنشاءً فأدخله الوالي في معيته.. ثم تداولت الأيام وتعاقب الولاة الفخام ، وهو يتقلد المراتب ويتقلب في المناصب السامية إلى أن أقامه سعيد باشا أمينا للجمارك المصرية فكانت وفاته في هذا العمل عن ثروة راضية بددها أبي في سكرة الشباب ثم عاش بعمله غير نادم ولا محروم، وعشت في ظله وأنا واحده أسمع بما كان من سعة رزقه ولا أراني في ضيق حتى أندب تلك السعة فكأنه رأى كما أرى لنفسه من قبل أن لا أقتات من فضلات الموتى.

ثم ذكر طرفا من سيرة جده لوالدته، إلى أن قال عن نفسه: أنا إذن عربي، تركي، يوناني، جركسي بجدتي.. لأبي أصول أربعة في فرع مجتمعة، تكفله لها مصر كما كفلت أبويه من قبل، إلى أن يقول:

"أما ولادتي فكانت بمصر القاهرة، وأنا أحبو اليوم إلى الثلاثين حدثني سيد ندماء هذا العصر المرحوم الشيخ علي الليثي قال: "لقيت أباك وأنت

[1] سبق نشره بالشوقيات الأولى

حمل لم يوضع بعد فقص علي حلماً رآه في نومه؛ فقلت له وأنا أمازحه ليولدن لك ولد يخرق كما تقول «العامة خرقاً في الإسلام».

ثم اتفق أني عدت الشيخ في مرض الموت، وكانت في يده نسخة من جريدة الأهرام فابتدر خطابي يقول: "هذا تأويل رؤيا أبيك يا شوقي، فو الله ما قالها قبل في الإسلام أحد قلت وما تلك يا مولاي قال قصيدتك في وصف «البال» التي تقول في مطلعها:

حف كأسها الحبب فهي فضة ذهب

وها هي في يدي أقرأها فاستعذت بالله وقلت الحمد لله الذي جعل هذه هي «الخرق» ولم يضر بي الإسلام فتيلا.

أخذتني جدتي لأمي من المهد – وكانت منعمة موسرة – فكفلتني لوالدي، وكانت تحنو علي فوق حنوهما وترى لي مخايل في البر مرجوة.. حدثتني أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه؛ فطلب الخديوي بدرة من الذهب ثم نثرها على البساط عند قدميه فوقعت على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به.. فقال لجدتي: "اصنعي معه مثل هذا فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض" قالت: "هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي" قال: "جيئي إليَّ به متى شئت إني آخر من ينثر الذهب في مصر"، ولا يزال هذا الارتجاج العصبي في الإبصار يعاودني، وكان المرحوم الشيخ علي الليثي كلما التقت عينه بعيني ينشد هذا المصراع للمتنبي «محاجر مسك ركبت فوق زئبق».

ثم عرض لنشأته الدراسية؛ فذكر أنه دخل مكتب الشيخ صالح في الرابعة من عمره وأخيراً التحق بمدرسة الحقوق فوجد ممانعة من ناظرها بسبب صغر سنه، ومكث بها سنتين ثم دخل قسم الترجمة وتخرج فيه بعد سنتين.

إلى أن قال: وبينما أنا أتردد على المغفور له علي باشا مبارك في شأن ورد عليه مرسوم من المعية بطلبي إليها، فكان سروره بذلك أضعاف سروي بالنعمة المفاجئة؛ فذهبت إلى السراي وهناك استؤذن لي على المرحوم الخديوي توفيق باشا فلما مثلت بين يديه ولم أكن رأيته من قبل ولكني مدحته مراراً وأنا في المدرسة خاطبني بهذا اللفظ الشريف «قرأت يا شوقي في الجريدة الرسمية أنك أعطيت الشهادة النهائية، وكنت أنتظر ذلك لألحقك بمعيتي، لكن ليس بها الآن محل خال فهل لك في الانتظار ريثما يهيئ الله لك الخير». فاستلمت أذيال العزيز وقبلتها ثم قلت: "حسبي يا مولاي أنك قد ذكرتني من تلقاء نفسك الشريفة وأي خير يهيئ الله لعبدك أفضل من هذا" فأطرق هنيهة، وقال: "قد سمعت أن أباك عطل من الخدم فأبلغه أنني ربما أدخلته في عمل قبلك" ثم تهلل وأذن لي في الانصراف.

لبثت في المعية بضعة شهور أنتظر فرجا يأتي به الله، وكان المرحوم على باشا مبارك لم يقطع عني الراتب إلى أن كان يوم كثر غيمه وتثاقل مطره فخرجت قبيل الأصيل في حاجة لي على حمار أبيض كان لوالدي، وبينما أنا عائد إلى منزلي أجتاز ميدان عابدين بصرت بالعزيز في بهو السراي يشرف منه فنزلت عن الدابة أمشي كرامة للمليك المطل، وأمرت الخادم أن يبتعد بها وأن يلاقيني خلف القصر، ثم مشيت على الأقدام حتى إذا

انتهيت من الميدان اعترضني رسول من الأمير يدعوني إليه فوافيت حضرته وأنا لا أعرف السبب، وكان معه ساعتئذ المرحوم عبد الرحمن باشا رشدي؛ فتجلى الحليم بصورة الغضب وقال: "أليس لي أن أطل من بيتي حتى نزلت عن حمارك وألجأتني إلى الانثناء" قلت: "عفواً يا مولاي هكذا أدبنا الأوائل حيث يقول شاعرهم:

وإذا المطــي بنــا بلغــن محمَّداً فظهـورهن علـى الرجـال حـرام

فتبسم ضاحكا ثم قال: "إنكم معشر الشعراء تتفاءلون بالغيوم وهذا اليوم من أيامكم فأسمع للباشا فإن عنده لك فألا" فالتفت الباشا عندئذ إليَّ وقال: "الآن أمرني أفندينا أن أبلغك تعيين أبيك مفتشاً في الخاصة الخديوية، وأما أنت فتعين بعد شهر" ثم مد العزيز إلى يده فقبلتها واجماً قد غلب عليَّ السرور حتى أنساني الشعر وكان ذلك وقته.

ثم عرض الفقيد لأول عهده في وظيفته بالمعية السنية وكيف أراد له الخديوي توفيق أن يدرس في أوربا الآداب الفرنسية والحقوق وأن ينقد ستة عشر جنيها (نصفها من الخاصة ونصفها من المعية)، وأعطاه يوم سفره مائة جنيها بعث بنصفها إلى مدير الإرسالية ليهيئ له جميع ما يحتاج إليه، ووصف ركوبه البحر لأول مرة إلى مارسيليا على أن يقضي عامين في مدينة «مونبلييه» وعامين في «باريس»، ولما انقضت السنة الأولى التمس من الخديوي توفيق أن يأذن له في الحضور إلى مصر فأبى عليه أمنيته وأوصاه أن يبقى أربع سنوات كاملة في أوربا وأرسل إليه خمسين جنيهًا لينفقها في رحلة يختارها إلى أي بلد سوى مصر؛ فتقبل دعوة رفاقه الفرنسيين إلى

مدنهم المتفرقة في الجنوب وقضى فيها شهرين، ووصف ما رأى في هذه الأقاليم الفرنسية من كرم ضيافة إلى أن يقول وصفا للفلاح الفرنسي.

وعرفت الفلاح الفرنسي في داره، وكنت ألقاه في مزرعته وأماشيه في الأسواق فيخيل لي أنه قد خلف العرب على قرى الضيف وإكرام الجار، وكان أعجب ما رأيت مدينة «كركسون» وجدتها قسمين وألفيت القوم عليها صنفين فمنهم الباقون إلى اليوم كما كان آباؤهم عليه في القرون الوسطى بناؤهم ذلك البناء ولباسهم ذلك اللباس وأخلاقهم تلك العادات والأخلاق».

وبعد انتهائه من السنة الثانية سافر في صحبة الطلاب المصريين ومدير الإرسالية إلى إنجلترا على نفقة الخديوي توفيق ومكث في إنجلترا شهرا، ولم يلبث هو واخوانه أن سئموها، وفي الثالثة أصيب بمرض شديد كان فيه بين الحياة والموت، وأشار عليه الأطباء أن يقضي أياما تحت سماء إفريقيا؛ فوقع اختياره على الجزائر، وكان دليله إليها أحد القضاة الفرنسيين الموظفين بها..

إلى أن يقول: "أما جو الجزائر فلا يعدله بين الأجواء في صحوه وطيب نسمته مع توقد شمسه، إلا جنوب فرنسا، ولم أتأثر فيها كتأثري من رؤية المصريين في المقاهي البلدية إذ اكثر أصحابها وغلمانها منهم».. إلى أن قال «ولا عيب في الجزائر سوى أنها قد مسخت مسخاً فقد عهدت مساح الأحذية فيها يستنكف النطق بالعربية وإذا خاطبته بها لا يجيبك إلا بالفرنسية».

وبعد أن أقام الفقيد في الجزائر أربعين يوما عاد إلى باريس وحصل على الشهادة النهائية ورأى الخديوي عباس أن يبقى ستة أشهر أخرى، وعاد إلى مصر بعد ذلك، وفي سنة ١٨٩٦ انتدب لينوب عن مصر في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في جنيف بسويسرا؛ فأقام بها شهراً ثم رحل إلى بلجيكا، وزار المعرض الذي أقيم في مدينة «أنفرس» ثم أصيب برمد في عينيه فسافر إلى الأستانة، ومكث بها أربعين يوما. ويروي أنه كيف سمي ديوانه «الشوقيات[١]» فيذكر صلته وهو يطلب العلم في باريس بالأمير شكيب أرسلان، وقد تمنى عليه أن يرى مجموعة شعره وأن يسميها «الشوقيات»..

إلى أن يقول: "كانت وفاة والدي من نحو ثلاث سنوات فكان لي عجبا أن وجدت بين أوراقه شيئاً كثيراً لي من مشتت منظومي ومنثوري ما نشر منها وما لم ينشر قد كتب بعضه بالحبر والبعض الآخر بالرصاص، والكل بخط يد المرحوم، وقد لفه في ورقة كتبت عليها هذه العبارة «هذا ما تيسر لي جمعه من أقوال ولدي أحمد وهو يطلب العلم في أوربا ، فكنت كأني أراه وإني آمره أن يجمعه ثم ينشره للناس لأنه لا يجد بعدي من يعتني بشؤنه، وربما لم يوجد بعده من يعنى بالشعر والآداب» فبينما أنا ذات يوم تعب بهذه الأوراق حيران لوصية الوالد كيف أجريها زارني صديقي مصطفى بك رفعت فحدثته حديثي فسألني أن أعيره الأوراق أياما ثم يعيدها إليَّ ففعلت.. ثم لم يمض شهر حتى بعث بها إليَّ وإذا هي قد نسخت بقلم سليم يؤيده ذوق صحيح بحيث لم يبق إلا أن تدفع إلى الطابع؛ فأخذتها

(١) الشوقيات الأول غير الذي صدر في سنة ١٩٢٥.

وبودي لو وفيت صديقي المشار إليه حقه من شكر الصنع، وأنا أقول في نفسي: "لئن صدق أبي في الأولى لقد ظلم في الثانية فإن الخير لا يزال في الناس".

كيف كان ينظم الشعر؟

كان رحمه الله، وعزَّى العربية عن فقده، ينظم الشعر في أي وقت شاء وفي أي مكان أراد؛ فكان ينظمه جالساً وماشياً ومسافراً ومقيماً، وكان ينظمه وهو وحده وأيضاً وهو مع أصدقائه أو زواره، وكذلك كان ينظمه فرحاً وحزيناً كما كان ينظمه وهو مجد لأي عمل أولاه بأي منظر، وبهذه المناسبة أذكر أني كنت أدخل السينما في صحبته، وكان دأبنا في ذلك أن نقطع تذكرتين مختلفتين إحداهما أمام الشاشة وهي له ليتمكن من رؤيه المناظر عن قرب، والأخرى من التذكرتين تكون لي يعطينيها قائلا: "اجلس حيث شئت كما تريد" ففي ذات مرة اتفق أن الرواية كانت ضعيفة وكنت غير مرتاح لها، ولكني اضطررت للبقاء مجاراة لرغبته في عدم الانصراف؛ فلم يسعني بعد انتهاء الرواية إلا أن قلت له: "لقد كانت الرواية ضعيفة ومملة"؛ فقال: "جداً" قلت: و"لم بقينا؟" فقال: "تركتها في أول نظرة وشرعت أنظم في وجهي" وقال: "لا تظن أن رؤيتك لمثل هذه الرواية الضعيفة تمر بدون فائدة فقد تعرف مواطن الضعف فيها وهذا يفيدك قوة ثم تعرف قيمة الرواية التي تراها في الغد إذا كانت من نوع أقوى لأنه لا يظهر فضل الخفيف الجميل إلا إذا ظهر البغيض الثقيل ولا يحس الإنسان بقيمة النعمة إلا بعد الحاجة"

ثم مضت نصف الساعة تحدثنا أثناءها في أحاديث أخر، ولكنه عاد وقال كنا من وقت نتكلم على أن الضدين يظهران بعضهما مثل ذلك مثل

الصحة يراها المريض تاجاً على رؤوس الأصحاء، ثم ابتسم وقال مع أن المريض كان صحيحاً قبل ذلك ولا يشعر على رأسه بطاقية فضلا عن التاج، ثم خلص من هذا الحديث وسكت فإذا به ينظم بقية الشعر الذي كان بدأ فيه وهو في السينما.

ومرة أخرى منذ عشرة أعوام جاء من منزله في المطرية فوجدني في المكتب الساعة ١١ ونصف فأملى عليّ ثمانية وعشرين بيتاً من قصيدته التي مطلعها: "قفي يا أخت يوشع خبرينا".. ثم قال لي: "لا تبعد عني، حتى إذا جاءني شيء أمليته عليك" وخرج يمشي حول العمارة فكان كل بضع دقائق يعود فيملي عليّ خمسة أو ستة أو سبعة أبيات. وأخيراً دخل المكتب وجلس على مقعد وأخذ يمر براحته اليسرى على رأسه؛ ففهمت أنه ينظم في سره لأنه كثيراً ما كان بفعل ذلك أثناء النظم، ثم قال: "اكتب"؛ فكتبت، ونظرنا الساعة فإذا هي الواحدة بعد الظهر فقال: "كفى أعطني ما كتبت لأني على موعد في هذه الساعة مع داود بك"؛ فقدمتها له بعد أن عددت أبياتها ووجدتهم أربعة وثمانين بيتاً.

وفي مرضه كان ملازماً المنزل تقريباً، وكنت تارة أقرأ له في بعض الكتب وتارات أخر كان يملي علي ما ينظمه في رواياته الأربع: قمبيز، علي بك، البخيلة، هدى، وقد كان يشتغل في الأربعة معاً فيمليني قائلاً: "اكتب في رواية قمبيز"، ثم إذا انتهى يقول: "اكتب في علي بك" الخ.

وربما انتهى من الإملاء انتظر قليلا، فربما يأتي بشيء، وقد كان يحدث كثيراً أن يدخل علينا زائر أو زائرون فيحدثهم ويحدثونه حتى إذا انتهت

هذه الزيارة واستأذنوا التفت إليّ وقال: "اكتب" فيسرع في الإملاء، وأسرع في الكتابة كأنه لم ينقطع وكأنه لم يكن مشغولاً باستقبال أحد بل كأن أحداً لم يقطع عليه ما كان ذهنه يعمل فيه.. وفي مرة لاحظ عليّ دهشتي من قدرته هذه على نظم الشعر فقال: "لا تظن أن محادثتي للناس تعطلني عن عملي" وقال لي صديق له لقد لازمته في ليلة في بوفيه دي لابرومينات على كوبري قصر النيل وكان ذلك قبل الحرب فشرع يعمل في قصيدة النيل التي مطلعها.

من أي عهد في القرى تتدفق وبأي كف في المدائن تغدق

وكان كل نصف ساعة يركب مركبة خيل ويسير في الجزيرة بضع دقائق ثم يعود إلى المنضدة التي كان يجلس إليها فيكتب عشرة أو اثنى عشر بيتاً وهكذا حتى انتهت القصيدة في ليلة إلا بيتاً استعصى، ولم يتمكن منه إلا بعد يومين.

ومن بضع سنين زار قبر صلاح الدين بدمشق وعاد إلى دمو فأخذ ينظم وكان معه الاستاذ مُحَّد عبد الوهاب والأستاذ نجيب الريس فلم يمض أكثر من ساعة حتى انتهت القصيدة التي مطلعها: "قم ناج جلق"، فتكلموا معه في سرعته في نظم هذه القصيدة مع مكانتها هذه من الجودة فقال هي روح صلاح الدين. وكنا في أثناء قراءة بروفات "مجنون ليلى" أو "كليوباترا" كثيراً ما يقول لي: "زد تحت بيت كذا هذا" ويملي أربعة أو خمسة أبيات: هذا وهو يسمع لي، ولم أكن انتهيت بعد إلى آخر الصحيفة التي قال لي زد في أولها كذا.. وكان إذا شغلته أشياء عن قصيدة طلب إليه

عملها ولم يتذكرها إلا قبل ميعادها بساعات أو عند طلبها ابتسم وطلب أن يتناول صفار ثلاثة من البيض التي يشربها نيئة ثم يبدأ في النظم فلا تمضي ساعة حتى تكون القصيدة في يد طالبها.

وكنا إذا حضرنا تمثيل أحدى رواياته يقول لي: "ألتفت للممثلين حتى إذا سمعت خطأ من أحدهم دونه وأعرف اسم الممثل لتلفته إلى خطأه في الغد"، وكثيراً ما كان يفوتني سماع الأخطاء فلفتني إليها ثم يزداد دهشي حين ما ترخي الستارة ويقول لي: "اكتب" فيملي عليَّ أكثر من عشرين بيتاً لإحدى رواياته الأخر. أو في قصيدة طلبت منه: أجل كنت أدهش حينما أراه حريصاً على سماع إلقاء الممثلين في الوقت الذي هو ينظم فيه، وسألته مرة في ذلك فقال الخطأ ينبهني لأنه كالمسمار في الأذن.

في نصف ساعة

في الساعة الخامسة من مساء ١٨ يوليه سنة ١٩٣١

كنا في الشارع الجديد الموصل من المنتزه إلى شارع أبي قير ، وهو الشارع الذي تعودنا الرياضة به يومياً سيراً على الأقدام، وعندما خرجنا من السيارة وقف ينظر إلى النخيل ثم قال لي أكتب ، فأخرجت قلماً وورقا وأملى علي ما يأتي:

أرى شــجراً في الســماء احتجــب ... وشـــقّ العنـــان بمـــرآى عجـــب
مـــآذن قامـــت هنـــا أو هنـــاك ... ظواهرهـــا جـــرجُ مـــن شَـــذَبْ
ولـــيس يـــؤذن فيهـــا الرجـــال ... ولكـــن تصـــيح عليهـــا الغُـــرُب
وباســـقةُ مـــن بنـــاتِ الرمـــال ... نمـت وربَـت في ظـلال الكثـب
كســـارية الفلـــك أو كالمســـلة ... أو كالفنـــــــار وراءَ العَبـــــــبْ
تطـــول وتقصـــرُ خلـــفَ الكثـــب ... إذا الـــريحُ جـــاء بـــه أو ذهـــب
تخـــال إذا اتقـــدت في الضّـــحى ... وجـــرَّ الأصـــيلُ عليهـــا اللهـــب
وطـــاف عليهـــا شـــعاع النهـــار ... من الصحو أو من حواشي السُحُب
وصـــيفة فرعـــون في ســـاحةٍ ... مـــن القصـــر واقفـــةً ترتقـــب
قـد اعتصـبت بفصـوص العقيـق ... مفصـــــلةً بشـــــذور الـــــذهب
وناطـــت قلائـــد مرجانهـــا ... علـى الصـدر واتشـحت بالقصـب
وشـــدَّت علـــى ســـاقها مئـــزراً ... تعقـــد مـــن رأســـها للـــذنب

عند هذا البيت كنا قطعنا كليو متراً سيراً على أقدامنا، وكان يتخلل المسير قليلا من الوقوف والنظر إلى النخيل، ثم ركبنا السيارة، وبعد

خطوات قليلة قال لي: "اكتب" فأخرجت القلم للمرة الثانية فقال

أهـذا هـو النخـل ملـك الـرياض	أمــيرُ الحقــول عــروسُ العــزب
طعــامُ الفقــير وحلــوى الغــني	وزاد المســـــافر والمغـــــترب
فيــا نخلــة الرمــل لم تبخلــي	ولا قصــرت نخــلات الــتُربُ
وأعجــبُ كيــف طــوى ذكــركُنَّ	ولم يحتفــل شــعراء العــرب
ألــيس حرامــا خلــوّ القصــائد	مــن وصــفكن وعُطــلُ الكتُــب
وأنــتُنَّ في الهــاجرات الظــلالُ	كــأن أعــاليَكُنَّ العبــبَ
وأنــتُنَّ في البيــد شــاة المعيــل	جناهــا بجانــب أخــرى حلَــبْ

وعند هذا البيت كنا في منتصف شارع فكتوريا "شارع إسماعيل باشا صدقي الآن"، فقال لي: "كفى"؛ فرددت قلمي وورقي إلى جيبي، ولكن لم تمض بضع ثوان حتى قال لي: "انظر إلى جمال هذه النخلة في حديقة المنزل"، وأشار إلى منزل على اليمين ثم قال لي: "اكتب"

وأنــتُن في عرصــات القصــور	حســانُ الــدمّالزائنات الرحــب

حتى إذا كنا أمام المنزل وفتح باب السيارة وقال لي: "ألست دمياطياً؟" قلت: "نعم"، قال "كأنك ولدت في وسط النخيل [1] فماذا رأيت وهل تركنا له شيئاً".

وخرجنا من السيارة إلى فرندة المنزل فجلسنا وأخذت أتذكر بضع دقائق، ثم قلت له: "لم نترك إلا تعدد ألوانه" فابتسم وقال: "أنت اليوم حاضر الذهن" ثم قال لي في الحال: "اكتب"، وقبل أن أخرج الورق والقلم

([1]) يريد أن دمياط محاطة بكثير من النخيل.

قال:

جناكن كالكرم شتَّى المذاق وكالشهد في كل لونٍ يُحب

وفي ٢٨ يوليه سنة ١٩٣١ بالإبراهيمية (الإسكندرية) خرجنا في الضحى نتربص أمام المنزل؛ فنظر إلى البحر، ثم نظر إلى شاطئه وعليه الفتيان والفتيات يمرحون؛ فقال: "اكتب" فأخرجت القلم والورق وأخذت أكتب:

أمِنَ البحر صائغٌ عبقريٌّ بالرمال النواعم البيض مغرى
طاف بحت الضحى عليهنَّ والجو هر في سوقه يباعُ ويُشرى
جئنه في معاصم ونحور فكما معصما وآخر عرَّى
وأبى أن يقلد الدر والياقوت نحراً وقلد الماس نحرا
وترى خاتما وراء بنان وبناناً من الخواتم صفراً
وسواراً يزينُ زند كعاب وسواراً من زند حسناءَ فرا
وترى الغيد لؤلؤا ثم رطباً وجمانا حوالي الماء نثراً

عند هذا البيت عدنا إلى الفرندة، وجلسنا فقال لي: "صف لي السماء والبحر والشاطئ وما عليه" ثم ابتسم وقال: "ولكن ليس شعرا لأنك كما نبأتك من قبل لست موفقا في الشعر ولكن الله عوضك بدلا عنه الوصف لذلك سأتركك ساعة وأعود إليك فأرى ما فعلت"؛ فأخذت ناحية من الفرندة وأخذت تارة أنظر إلى السماء وطوراً إلى الماء وأحياناً أخرج من المنزل للشاطئ فأنظر ثم أعود فألقي بطربوشي إلى الأرض، وعاد هو فرأى النصَب ظاهراً عليَّ فابتسم وقال كفى قل لي ما كتبت فقلت

ارتفعت هامتي وخرّت لقدرة جلّت. في سماء تحلّت. بشمس أطلت. وسحب أظلت. فوق مهادٍ مدت. من قوارير صفَت. وألقت ما فيها وتخلت

(1). ربي: أماء وسماء. أم شقّا صدفٍ فرش وغطاء. تكشفا عن ياقوتِ ومرجان. أم خردِ حسانٍ. تبرجن بفاقع واضريج فان.

فابتسم وقال: "يعجبني وصفك السماء والماء شقي صدف" ثم قال: "اكتب"

وكــأن الســماء والمــاء شــقَّا | صــــدفٍ جُمِّـــلا رفيفَـــا ودرا
وكــأن الســماء والمــاء عُــرسَ | مـــترع المهرجـــانِ لحـــا وعطـــرا
أو ربيــعُ مــن ريشــةِ الفــن أبهــى | مــن ربيــع الــرُبي وافــتن زهــرا
أو تهاويـــل شـــاعرٍ عبقـــريّ | طـــارحَ البحـــرَ والطبيعـــةَ شـــعرّا

وهنا قال كفى

وفي المساء قبل النوم أملى عليّ هذه الأبيات

يا ســـواري فـــيروز ولُجـــيْنٍ | بهمـــا حليـــت معاصـــم مصـــر
في شـعاع الضـحى يعـودان ماسـاً | وعلـــى لمحـــة الأصـــائل تـــبرا
ومشّــتْ فيهمــا النجــومُ فكانــت | في حواشـــيهما يواقيـــت زهـــرا
لــك في الأرض موكــب لــيس يأل | الــريح والطــيرَ والشــياطينَ حشــرا
ســرت فيــه علــى كنــوز ســليما | نَ تعـــد الخطـــى اختيـــالا وكـــبْرا
وترنمـــت في الركـــاب فقلنـــا | راهـــبُ طـــافَ في الأناجيـــل يقـــرا
هـــو لحـــنُ مضـــيعُ لا جـــواباً | قـــد عرفنـــا لـــه ولا مســـتقرا
لـــك في طيـــه حـــديث غـــرامٍ | ظـــلَّ في خـــاطرِ الملحـــن ســـرَّا

قـــد بعثنـــا تحيـــةً وثنـــاءً | لـــك يا أرفـــع الزواخِـــر ذكـــرا
وغشـــيناك ســـاعة نَنـــبشُ المـــا | ضـــيَ نبشـــا ونقتـــلُ الأمـــس فكـــرا

---

(1) إشارة إلى ما كان على الشاطئ من فتيات وفتيان.

وفتحنا القديمَ فيك كتاباً ... وقرأنا الكتاب سطراً فسطراً
ونشرنا من طيَّهنَّ الليالي ... فلمحنا من الحضارة فجرا
ورأينا مصراً تعلَم يونا ... نَ ويونانَ تُقِبسُ العلم مَصرا
تلك تأتيك بالبيان نبيَّا ... عبقريا وتلك بالفنّ سحرا
رأينا المنار في مطلع النجم ... على برقه الملمَّح يسرا
شاطئ مثل رقعة الخلد حسنا ... وأيمُ الشباب طيباً وبشرا
جرّ فيروزا على فضةِ الماء ... وجرّ الأصيل والصبح تبرا
كلما جئته تهلل بشرا ... من جميع الجهات وافترّ ثغرا
انثنى موجه وأقبل يرُخي ... كِلةً تارةً ويرفع سترا
شبّ وانحطّ مثل أسراب طيرِ ... ماضياتٍ تلُفُّ بالسهل وعرا
ربما جاء وهدة فتردى ... في المهاوي وقام يطفِرُ صخرا
وترى الرمل والقصور كأيك ... ركب الوكرُ في نواحيه وكرا
وترى جوسقاً يُزيّن روضاً ... وترى ربوة تزين مصرا
سيد الماء كم لنا من صلاح ... وعليّ (١) وراء مائك ذكرى
كم ملأناك بالسفين مواقير ... كشم الجبال جنداً ووفرا
شاكيات السلاح يخرجن من ... مصر بملمومة ويدخلن مصرا
شارعات الجناح في ثبج الما ... ء كنسر يشد في السحب نسرا
وكأن اللجاج حين تنزى ... وتسد الفجاج كرّا وفرّا
أَجَمٌ بعضُه لبعض عدو ... زحفت غابة لتمزيق أخرى
قذفت ههنا زئيراً ونابا ... ورمت ههنا عُواءَ وظفرا
أنت تغلى إلى القيامة كالقد ... رِ فلا حط يومها لك قدرا

(١) يريد صلاح الدين الأيوبي ومحمد علي باشا الكبير.

بره بأهله وأسرته

برّه بوالده

في ١٤ فبراير سنة ١٩٣٢ قال لي إليك أنا ممن يؤمنون بأنه إذا جاء القضاء عمىَ البصر.. لقد لبث والدي في مرضه الأخير ما يقرب من السنة تعباً وأنا متألم لأجله عابس الوجه والفكر ولم أقاصد جهداً ولا مالا بل بذلت كل ما وسعته قدرتي لأجل راحته فلم أترك طبيباً من المشاهير إلا تلمست بابه بنفسي والجميع يفحصونه فحصاً جيداً ولكنهم كانوا دائماً مختلفين في تعيين الداء.

وفي مرة جمعت سبعة أطباء وعلى رأسهم كومانوس باشا «وهو الذي كان يعالجه دائما» فقرروا جميعاً أن مرضه في الأمعاء ومنه تأثر الكبد قليلا وأنه لا بد من نقله إلى ضاحية كالزيتون أو مصر الجديدة، ولما كان والدي في آخر درجات الضعف والسقم فقد أوصوني بأن أختار عند الانتقال مركبة لينة المقاعد وأن يكون سيرها هادئاً ولم يكن موجوداً في تلك الأيام إلا مركبات الخيل فنفذت إشارتهم.

وفي اليوم نفسه أوجدت منزلا في الزيتون وهيأت لوالدي حجرة شرقية بحرية تملؤها الشمس والهواء وعدت حالا إلى المنزل آخذاً من طريقي المركبة ومن حملنا الوالد إليها ولازمته فيها، ولما كنت محافظا على نصيحة الأطباء في السير قطعنا الطريق في ثلاث ساعات من منزلنا بالحنفي إلى الزيتون.

وبعد مضي عشرين يوما فحصه كومانوس باشا واستغرق بحثه أكثر من ساعة ثم أخذ مركبته، ولكنه عاد إلينا بحقيبته بعد ساعة يطلب الفحص مرة أخرى ثم أخرج شبه إبرة مستطيلة وأدخلها في جانب والدي الأيمن فما لبث أن قال: "لقد كنا جميعا مخطئين وما كان الداء إلا خراجا في الكبد وقد وصل إلى النهاية وما أظن والدك باقياً أياما". فكدت أصعق من هذا القول: مع اعتقادي للآن بأني ما جئته إلا بمشاهير الأطباء في ذلك الوقت.

برّه بوالدته

قال لي مرة عقب وفاة والدي: اعتن بوالدتك ولا تهمل لها شأنا وسلها دائماً عن طلباتها وكن ملحاً إذا قدمت لها ما تحل فرفضت قبوله لأنه ليس للإنسان في الدنيا أخلص من والديه وأكثرهما حناناً الوالدة.. ثم قال:

إني شعرت بصدمة عنيفة أثرت في أعصابي للآن عند مفارقتي الوطن سنة ٩١٥ وبعدي عن والدتي ولقد قضيت في إسبانيا سنيَّ الحرب، وجلَّ همي والدتي فقد تركتها هنا في مصر كرغبتها ولكني لم أنسها يوماً واحداً بل لم أنسها في كل مناسبة، وما كان أكثر المناسبات التي تذكرني بها كل يوم عدة مرات ففي المائدة وفي العافية وفي المرض وفي دخولي المنزل وخروجي منه كنت أذكرها في كل هذه المناسبات، وكنت دائماً أترقب أخبار الحرب وما عساها تنتهي به ككل إنسان في هذا الوقت، ولكن كان من أكبر الدوافع لي هو شوقي إلى والدتي..

وفي ذات يوم أخذت الجرائد كعادتي، وما كاد نظري يقع على أخبار

الهدنة حتى ذكرتها فرحاً بقرب لقائها، ولكن لسوء حظي لم تمض أيام حتى نعيت لي بالبرق فاصطدم جسمي الضعيف هذا بالفرح والحزن وهما أكبر ضدين في الحياة فوقعت على المقعد هامداً محبوس الريق ممسوك الدمع، ولم أبك إلا بعد ساعات أخذ لساني يتحرك بالرثاء وعيناي تتدفق دمعاً ويدي تسطر أنات قلبي، وبعد أن أتممت طويت ورقتي في جيبي، ورأى من في البيت من أهلي حالتي فألحُّوا في معرفة الأسباب فلم أملك نفسي حيث تسابقت عيناي ولساني، وكانت الغربة تزيدنا ألماً وحزناً، ولما عدنا إلى الوطن بأجمعنا شكرنا الله.. وفي أول ليلة سئلت عما إذا كنت قلت شيئاً لوالدتي فأجبت نعم وأخرجت الورقة التي ما زالت بجيبي، ولكني لم أكد أمر بنظري عليها إلا وشعرت بحيرة للدمع في عيني؛ فرجوت صاحبي أن يرجئني وآثرت ألا ينشر شيئا فاصطدم بالحزن من جديد ولا زال الرثاء باقياً لم ينشر حتى الآن.

وهذا مطلع الرثاء:

إلى الله أشكو من عوادي النوى سهما أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى

برّه بأخته

لم يكن للفقيد إلا أخت واحدة تنازل لها عن حقه فيما تركه والده وكثيراً ما كان يذكرها وفي كل مرة يُرى عطفه عليها في ألفاظه وفي بريق عينيه والعاطفة كانت متبادلة بينهما ولم تكن هي أقل رحمة وحناناً منه عليه إذ مرضت بعد سفره إلى إسبانيا في سني الحرب وبقيت بمرضها إحدى عشر عاما حتى وفاتها. كنت أراه بعد عودته من إسبانيا في أوائل سنة

٩٢٠ يتردد عليها كثيراً وكنت ألازمه في أكثر زياراته لها وما من مرةٍ إلا وأراه خارجاً يتألم ويدعو الله لها ويقول ما من مرةٍ أتيت هنا إلا خرجت مريضا شفقةً عليها: وأما بره نحوها فقد كان مستديما لم ينقطع وفي أواخر سنة ٩٣٠ جاءه نعيها وهو جالس على مقعد في منزله بعد الغداء فرفع نظره إلى أعلاه وبقي صامتا لم يتكلم عشر دقائق، وبعد ذلك قال لي: "لقد أراحها الله من آلامها" ثم قام يمشي الهوينى حتى السيارة، ثم ركبنا إلى منزلها بشبرا، وهناك جلس يبكي ساعة وعاد إلى مكتبه ولم يتكلم وبدأ مرضه بعد ذلك بشهرين على الأكثر إذ بدأ في يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٠.

معاملة في بيته

لم ألاحظ عليه في المدة التي قضيتها معه أنه أغضب أحداً من أهله، بل كان يقابل كبيرهم كما يقابل صغيرهم هاشا باشا، وكان في مجلسه كثير المزاح كثير المداعبة معهم، وإذا رأى أحدهم مقطبا اهتم بأمره وأخذ يستدرجه بغير ضغط حتى يعلم السبب، وعندما يعلم تسهل عليه المعالجة في بضع دقائق. وكان دائماً يحضهم على البشاشة ومقابلة الناس بالابتسام ولا زالت الابتسامة ملازمة لأنجاله وأحفاده كغريزة فيهم.

قابله صديق في كازينو سان استفانو في شهر يولية سنة ١٩٣٢وقال له: ما رأيك يا بك في رهان بيني وبين آخرين بخصوص نجلك حسين" قال البك: "وما هو؟" قال: "لقد تناقشت مع صحبي قائلا أن حسيناً لم يقابلني مرة إلا مبتسما، وهم قالوا لا تبالغ وأخيراً انتهينا على المراهنة بأن ننتظره: «وها هم جالسون وأشار إلى جماعة بجوارنا» حتى إذا جاء الليلة كعادته

قابلناه وافترقنا وكررنا ذلك مراراً لنرى هل يغفل الابتسامة مرة" فضحك البك وضحكنا وقام الصديق وعلى أثر ذلك قال: "الحمد لله هذا ما كنت أبغيه لولديّ لأن الابتسامة نصف الكرم".

قال لي مرة ضمن حديث: "لقد سرني من علي أني سمعته مرة من بُعد يناقش أحد أقاربه قائلا له: كيف تخاطبني بهذه اللهجة وأنا لم أسمع من والدي كلمة في حياتي تجرحني: فعلمت أنه يحفظ لي عطفي"

وقال له صديق عزيز مرة: "أرى من المستحسن يا شوقي بك أن تمنع عليا من التدخين أمامك" فقال له: "لا يرضيني ذلك لأني إن فعلت كان قربه مني قصيراً وأنا أحرج ما أكون لجعل قربه مني طويلا".

وكثيراً ما كان يقول لي في آخر أيامه أن أكثر ما يخيفني الآن من الموت انزعاج أولادي.

كان كلما قابل أنجاله قبلهم بشغف كما يقبل حفدته وفي رأس مجلس كان يفعل ذلك. وكان في آخر أيامه شغوفاً جداً بحفدته، وبخاصة حفيده أحمد شوقي من نجله الأكبر، وحفيدته ليلي من كريمته. وإذا كان في سفر خاطبهم بالتليفون مرتين كل يوم ليطمئن على صحتهم.

وكان لا يدعو أحداً من أفراد أسرته باسمه، بل كانت مداعبته معهم حتى في ندائه لهم فمثلا يدعو نجليه: لولو، سيس. وأحفاده الصغار: «ماده»، «لولوت» وهكذا باقي أفراد الأسرة كبيراً وصغيراً يدعوهم بأسماء قريبة من أسمائهم.

معاملته للخدم

لم يشعر خادم من خدمه بذل الخدمة مطلقاً، بل كان يعطف على الجميع ويساعدهم ويجاملهم، وكثيراً ما كان يسألهم عن آبائهم وأمهاتهم وما هم عليه من الصحة.. وما قام خادمٌ بواجبٍ إلا قال له متشكر، وكثيراً ما كان يوزع عليهم نقوداً بأسباب يسميها هو. مثلا كان يقول لأحدهم أنت تعبت في عملك خذ هذا واخرج اليوم للفسحة، والثاني خذ هذا وقابل إخوانك في القهوة، والآخر خذ وجيء بطربوش غير هذا الخ.

وكان أبغض شيء لديه اضطراره لإخراج خادم، ولم يحصل ذلك إلا قليلا حينما يصعب عليه أصلا ما اعوج من أمره، ومع كل ذلك كان يقضي أكثر من شهرين في تردد، وينتهي التردد بأن يقول لي "اعمل ما شئت مع هذا وخلصني من ذنبه".

وجميع خدم المنزل الآن قضوا مدداً كبيرة تتفاوت بين الخمسة عشر عاماً إلى الثلاثين عاماً ولم يكن فيهم من سلخ أقل من ذلك إلا واحد قضى خمس سنوات وهو خلف لوالده المتوفى. وما ترك خادماً يشكو مرضاً إلا عرضه حالا على الأطباء، وما سافر خادمٌ بأجازة إلا أتحفه بمبلغٍ من المال.

النقد

في شتاء سنة ١٩٣٢ كثر القدح والنقد في إحدى الجرائد اليومية من بعض الأدباء، وكنت أخفي عليه ذلك لما أراه عليه من ضعف الصحة، وفي ذات يوم عثر على جريدة في المنزل وكنت بعيداً عنه، ولما عدت قال لي أرى في هذه الجريدة ما يدل على أنه قيل في هذا الموضوع قبل الآن «وأشار إلى القطعة الخاصة به» فلم لم تقرأ لي، فاضطربت قليلا ثم أبديت له الأسباب. فابتسم وقال: "ألم تسمع مني مراراً أن هذا لا يؤثر عليّ بل يرضيني لأنه عند العالمين المنصفين منعكس وما كنت أول من ينتقد".

مع دولة سعد باشا زغلول

في أول يونيو سنة ١٩٢٦ كان يوم زفاف نجله الأكبر الأستاذ علي شوقي ودعا سعد باشا زغلول لحضور حفلة الفرح، وحرص المغفور له سعد باشا على تلبية دعوة مولاي، ولكنه خوفا من زحام المدعوين الكثيرين وخوفا على نفسه من برد الليل رأي أن يلبي الدعوة في الساعة الخامسة حتى يتسنى له ثم ينصرف قبل الزحام وقبل برد المساء، وفعلا كان ذلك وأقبل سعد باشا واستقبله شوقي بك على باب قصره بالجيزة وجلسا بجوار بعضهما في غرفة تطل على النيل وأخذا يتحدثان، وفيما هما كذلك وإذ بالأستاذ عبد الرحمن الجديلي يستأذنهما في أن يسمحا لبدر أفندي المصور بأخذ صورة، فابتسم سعد باشا ونظر إلى الفقيد فأجابه مبتسما كذلك وقال: "ولكني لا علم لي بذلك" فضحك سعد باشا ضحكة خفيفة. وبعد

أن أخذت الصورة قال سعد باشا وهو يبتسم: "لا شك أن هذا من عمل الجديلي" ثم قال الأستاذ الجديلي: "هذه صورة الخالدين". فأشار دولة سعد باشا قائلا الخلود هنا «مشيراً لأمير الشعراء».

وبعدما جلسا يتبادلان كثيراً من عبارات المودة والإعجاب المتبادل والتقدير، رغب سعد باشا في القيام فقام معه المرحوم شوقي بك مودعاً حتى امتطى سعد باشا سيارته فعاد الفقيد وهو يقول. "حقاً أنه لزعيم حائز لكل صفات الزعامة" فقلت: "وهل للزعامة صفات عديدة؟" قال: "أجل؛ فهي كثيرة وأولها أن يكون الزعيم على بسطة من العلم والجسم قوي على نفسه جريء في الحق خبير بمختلف الشئون السياسية والقانونية قوي وليس بقاس رحيم وليس بضعيف خطيب قوي الحنجرة حسن البيان والإلقاء بقدر الكبير في أعوانه ولا يجرح صغيرهم" ثم ابتسم وقال: "وقبل ذلك أن يكون حسن الوجه ولم يرسل الله نبيا قبيح الخلقة قط". ومن كانت هذه مؤهلاته ودعا إلى الخير فهو زعيم بالرغم عن نفسه وعن الناس".

مهرجان أمير الشعراء سنة ١٩٢٧

كانت القاهرة في أواخر أبريل سنة ٩٢٧ تموج بوفود الأقطار العربية لحضور حفلات تكريم أمير الشعراء. وقد ابتدأت الحفلة الرسمية بدار الأوبرا الملكية تحت رعاية (حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر) في يوم الجمعة ٢٩ أبريل سنة ٩٢٧. وكان برنامجها كما يأتي: «مع حفظ الألقاب»

١– كلمة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا.

٢– كلمة حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا.

٣– كلمة حضرة الأستاذ أحمد حافظ عوض.

٤– قصيدة الأستاذ الجليل شلبي ملاط.

٥– قطعة موسيقية: تحية الشعر للأستاذ سامي الشوا.

٦– قصيدة الأستاذ الجليل شاعر القطرين خليل مطران.

٧– كلمة لجنة السيدات تتلوها السيدة إحسان أحمد القوصي.

٨– قصيدة حضرة الأستاذ الكبير شاعر النيل حافظ إبراهيم.

٩– قصيدة أمير الشعراء.

وفي مساء اليوم نفسه أقيمت حفلة بتياترو حديقة الأزبكية وألقى فيها حضرة الأستاذ الفاضل مُحَمَّد الشربيني مدير مطبوعات شرقي الأردن قصيدة.

برنامج حفلة يوم السبت ٣٠ أبريل سنة ٩٢٧ بدار الجمعية الجغرافية (مع حفظ الألقاب).

١- قصيدة سعادة الأمير شكيب أرسلان.

٢- مقالة الأستاذ الكبير إسعاف النشاشيبي.

٣- قصيدة الشاعر الطرابلسي الكبير الأستاذ عبد الحميد الرافعي.

٤- مقالة السيد الجليل مُحَمَّد بن أحمد داود من تطوان بالمغرب الأقصى.

٥- قصيدة الأمير الجليل صالح سعد سالم من سلطنة لحج.

٦- مقالة الأستاذ المحترم فاندنبرج نائباً عن شعراء البلجيك.

٧- قصيدة الأستاذ الكبير بدر الدين النعساني من أفاضل حلب.

٨- قصيدة الأستاذ وديع البستاني.

٩- بحث للأستاذ الكبير المقدسي.

١٠- قصيدة الأستاذ الكبير قيصر إبراهيم المعلوف.

١١- قصيدة الأستاذ الكبير أنيس المقدسي.

١٢- قصيدة البحرين.

وفي مساء اليوم نفسه كانت حفلة سمر وعشاء بكازينو الجزيرة تكلم فيها كل من حضرات الأفاضل الأساتذة: فكري أباظة وحافظ عوض وخليل مطران.

وفي يوم الأحد أول مايو بعد الظهر- كانت نزهة نيلية إلى القناطر

الخيرية ألقيت فيها قصيدة حضرة الأستاذ مُحَمَّد بن هاشم (في الذهاب) وقصيدة الأستاذ حليم دموس (في الإياب).

برنامج حفلة يوم الإثنين ٢ مايو سنة ٩٢٧ بقاعة الاقتصاد السياسي

١- كلمة سيادة حاخام الطائفة الاسرائيلية.

٢- مقالة الأستاذ مُحَمَّد أمين واصف.

٣- مقالة الأستاذ إبراهيم جلال القاضي.

٤- قصيدة الأستاذ محمود مُحَمَّد غنيم.

٥- كلمة الأستاذ وهيب دوس.

٦- قصيدة الأستاذ الفاضل مراد فرج.

٧- كلمة الأستاذ خليل أسعد واغر.

٨- قصيدة الأستاذ مصطفى حسن البهنساوي.

٩- قصيدة الأستاذ عبد الله عبد الرحمن.

١٠- قصيدة الأستاذ عبد اللطيف المغربي.

١١- قصيدة الأستاذ نجيب هواويني.

وفي مساء اليوم نفسه كانت حفلة سمر بدار الموسيقى الشرقية ألقيت فيها قصيدة الأستاذ محمود أبو الوفا. واستمرت الحفلات بعد ذلك إلى يوم ٦ مايو سنة ٩٢٧.

«وهذا بعض ما قدم من الهدايا للمرحوم أحمد شوقي بك أمير

الشعراء»

١ – نخلة من الذهب الخالص. (هدية أمير البحرين). وجناها لؤلؤ متدل

٢ – كأس ذهب. «الاتحاد النسائي

٣ – قلم ذهب. «النادي العربي بعدن

٤ – علبة فضة وداخلها إطار من «النادي العربي بمباي

الفضة حول قصيدة قم ناج جلق، وأنشد رسم من بانو، وكل هذه الأشياء مازالت محفوظة مع غيرها بكرمة بن هانيء الفقيد

يشرفني ويسرني أن اترأس هذا الاحتفال الجليل لتكريم شاعرنا العظيم أمير الشعراء وكنت أود أن أشارك حضراتكم في حضور هذا الاحتفال ولكن ضعف صحتي حرمني من هذا الشرف الكبير فأنيت عني حضرة صاحب المعالي مُحَمَّد فتح الله بركات باشا ليبلغ حضراتكم تحيتي ويهديكم وافر احترامي، ويخص بأطيب تحياتي حضرات وفود الأقطار العربية الذين جَشَّموا أنفسهم مشقة السفر لمشاركتكم في هذا التكريم الكريم فأرحب بقدرتهم وأرجو لهذا الاجتماع النبيل كل نجاح وأن يكون وسيلة صالحة لتوثيق عرى المودة والإخاء بين أهل اللغة العربية في سائر الأمصار.

كلمة دولة سعد باشا بتوقيعه

«المصيف بسوريا ولبنان سنة ٩٣٠ وحادثة السيارة»

في يوم **٢٤** يونيه سنة **٩٣٠** ركبنا السيارة من حيفا قاصدين بيروت فقال لي البك: "أحن إلى سوريا ولبنان حنيني إلى وطني، وأحن إلى أهل هذه البلاد كما أحن لأهلي" وبعد أن قطعنا الطريق وقربنا من بيروت قال لي: "سترى هنا منتهى حسن الخلق، وستراه عاماً، ولا فرق في ذلك بين سوريا ولبنان".. ثم ابتسم وقال: "والكرم هنا ليس مختصراً على أهل هذه البلاد بل تجده في أرضها وسمائها، وستعرف أنك كما رضيت مصاحبتي ضاحكا سترى السماء والأرض والناس كلٌ هنا باسمون فترى التحية ردت إليك بأحسن منها أضعافاً مضاعفة".

قلت: "وكيف تبتسم السماء والأرض؟" قال: "ولا تزال يبتسم السماء ترسل نسيماً عليلاً يقوي شهوة الطعام وأنت ممن يحب ياقلياقل[1] والأرض تنبع الماء الزلال الذي ينظف الأمعاء الأجزاء" قلت: "وما هي الأجزاء؟" قال: "الكلى والكبد وغير ذلك فأرضها تجود بفاكهة كثيرة وكل ما يسرك يا فلانُ لستُ أرى في هذه البلاد من العيوب إلا واحداً" فقلت: "وما هو؟" قال: "زيادة الكرم وكثرة المدح، وأنت تعرف أن صحتي ورغبتي لا يساعداني على تحمل ذلك".

---

(١) كانت في دار الفقيد دادة تركية بلغت الثمانين من عمرها وكانت كلما مرضت ال طبيبها من زيادة الأكل «وحقيقة كانت مسرفة في أكلها» فكانت تقول لطبيبها ألم يكن عندك غير ياقلياقل.

في ٢٦ يونيه سنة ٩٣٠ صعدنا الجبل فوجدت في الطريق شبه حجر غريب؛ فقلت: "ما فائدة هذه الحجر يا سيدي؟" قال: "هذا أيضاً من كرم البلاد فقد يمتد كرم الشتاء إلى الصيف هذه حجر تخزن فيها الثلوج حتى الصيف".

وفي أواخر الأسبوع الأول من يوليه سنة ٩٣٠ ذهبنا إلى دمشق، وفي منتصف الشهر اضطررنا للعودة إلى عاليه حيث كان سعادته مدعواً عند فخامة رئيس جمهورية لبنان؛ فقمنا في الساعة العاشرة صباحاً وأرسلني لاختيار سيارةٍ كبيرةٍ فغبت بضع دقائق وعدت بسيارة كبيرة ماركة فيات؛ فأقبل كعادته يوصي سائق السيارة بالهدوء، وعاد يقول لي: "لماذا انتقيت هذه السيارة؟" قلت: "رأيتها جديدة وطبعاً محركها متين" فابتسم وقال: "ولكن عقل القائد غير متين" [(١)] فعرضت عليه أن أبدلها فقال: "لا تشاؤم.. اركب.. توكلنا على الله" وسرنا حتى إذا كنا على عين في دمر نادى السائق بأن قف وأتني بكوبة ماء من العين؛ فلبى ولكنه عندما اقترب منه وقبل أن يمد يده كسرت الكوبة ولا ندري السبب إلا أننا ظننا أنها كسرت من ضغط يده عليها فقال البك للسائق: "كفى اركب ليس لنا في الماء قسمة" والتفت إليّ فإذا في بريق عينيه ما يدل على أنه يخشى أمراً وقال: "لقد تشاءمت من جديد" فطمأنته ثم بعد برهة ابتسم وقال: ها أنت رجل تقيٌّ «اتلُ أورادك»..

---

(١) لما أخذ الفقيد يوصي السائق بالهدوء كان السائق يسرع بالجواب قبل أن يسمع ويعقل ما يريده المرحوم، فكان جوابه أن ستراني كالبرق ولم يطلب الفقيد ذلك منه

وسرنا حتى اقتربنا من ظهر البيدر [1] لاحظنا أن السيارة تقترب من شبه جسر هناك فوق سكة الحديد، وشعرنا في هذه اللحظة أيضاً أنها اندفعت معوجة السير حتى خيل إلينا الانقلاب من أعلى الجسر وخرج نداؤنا معاً للسائق «يمينك» فانتفض كالمذعور وأدار يميناً ثم بالغ حتى كاد يكون يمينه خلفاً ثم ارتد وعاد فإذا السيارة تصطدم بالجانب الصخري وترتد على يسارها ثم أعلاها حتى صار بابها الأيمن يساراً متقلباً.

كل ذلك وأنا أحيط مولاي بذراعي وصدري، وبعد أن استقرت السيارة نظرت إليه فإذا هو مصفر الوجه مهتزه.. ينظر ذات اليمين وذات اليسار فقلت له: "كيف حالك؟" قال: "الحمد لله" وهممنا أن نخرج فوجدت نقوداً فضية مبعثرة في السيارة فقلت: "نقودك يا سيدي". فظهرت على ثغره ابتسامة إعياء وقال: "أذهلتَ؟ لسنا في النقود إنما نحن فيمن يقود" وخرجنا بعد كل جهد من نافذةٍ لم يبق للزجاج فيها أثر، وكانت أول كلمة قالها بعد الخروج: "كيف حال زميلنا الثالث «يريد السائق»؟" وخطونا خطوة فإذا هو منطرح على الأرض منحني الرأس كثير الجراح طويل الأنين فقال له: "كيف حالك؟" قال: "الحمد لله" قال له: "قِف" وأشار إليّ فأخذنا بيده حتى وقف عاري الرأس وإذا دمُ يسيل من فيه ورأينا بضعة نفر من الشرطة والناس قادمين فأوصاهم البك بالسائق خيراً والتفت إليّ قائلا: "مسكينُ هذا فهو أكثرنا نصيباً ولو أنه كان يقظاً لأراحنا وأراح نفسه" ثم نظر إلى جهتي فوجد دماً يسيل إذ أخرج منديلاً من حبيبه وقال لي:

---

(1) جهة مرتفعة ١٦٠٠ متر وبجانبها الأيسر هوة عميقة.

"اعصب رأسك ولا تمد يدك بترابها عليها خشية (التيتانوس)" قلت: "وما التيتانوس يا سيدي؟" قال: "أنت مغرمٌ بالتفاصيل ليس هذا وقته" ثم قال: "انظر إليّ" فوجدته سالما إلا من خدشٍ لا يكاد يبين فحمدنا الله، وقال لي: "افحص نفسك" فألفيت بي خمس جراحات بالرأس والذراعين والفخذ لا تزال آثار الكل باقية ذكرى. فابتسم وقال: "اشكر الله إن ما عندك ليس بشيء وخاصةً على الشباب" ثم تقدمنا خطوة للجانب الأيسر فإذا ما بين السيارة وحرف الهوة العميقة لا يكمل متراً فأجفلنا وشكرنا الله، وأقبلت سيارة فأشرت إليها من بُعد حتى إذا كان ركابها معنا وعلموا ما نقصد منهم بصعوبة حيث لا يفقهون من العربية إلا قليلا اعتذروا بازدحام سيارتهم بالسيدات، ومرت ثانية ولم يكن ركابها أكثر كرماً ولا سيارتهم أقل حملا ولكن خشيتي على سيدي جعلتني ألح في الرجاء فقاطعني قائلا لهم: "تفضلوا يا سادة" ورجع إليّ قائلا: "لا تكن ملحاً".

وبعد عشرة دقائق أقبلت ثالثة تحمل أسرة طليانية بين سيدات وفتيات يصحبهم رجلُ في آخر الحلقة الرابعة نظر يمينا ويساراً ولما عرف أن هناك حادثاً أوقف السيارة فتقدمت ناحيته فقال لي: "من هذا؟" فقلت: "شوقي بك" فدفع جبهته بأطراف يمناه مرتين كمن يتذكر شيئاً وقال: "أليس هذا كبير الشعراء؟" قلت: "نعم" قال: "وأين تقصدون؟" قلت: عاليه؛ فنزل من سيارته وتقدم خطوة وأخذ بيد البك وقال: "تفضل يا سيدي" وأجلسه محله ثم أراد أن يزاحم بي أسرته فأبيت شاكراً وأثرت أن أقف على سلم السيارة من الجهة اليسرى بجانب مولاي عليَ أقاوم الهواء عنه حيث كانت السيارة من النوع النصفي المفتوح فعرف البك ما أقصد، وما رأيت أشد

ذكاء منه وقال لي: "أنت وفيٌّ يا أحمد" واغرورقت عيناه، وكانت أول مرة ينادي فيها بغير أفندي وأول مرة كذلك أرى عينيه تدمعان

وزاحم الرجل أسرته من الجانب الأيمن، وكان مولاي واضعاً يديه على صدره من ناحيته اليسرى طول الطريق، وقال لي أكثر من مرة: "أخشى أن يكون هذا الحادث أثر على القلب" وما زلنا نقطع الطريق حتى إذا وصلنا عاليه ودخلنا قصر فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الأستاذ شارل دباس ألفينا فخامته وصحبه في الانتظار، ولما رأوا صورة الحادث في وجوهنا وملابسنا هبوا يستفسرون ويأبون إلا تفصيلا. ولما تبينوا من الحديث خطأ السائق رأيت عيونهم تدور ووجوههم تزداد تقطيبا حتى خيل إلى أنه لو كان السائق حاضراً لمزق تمزيقاً، وكل ظواهرهم ذات دلت على كبير حبهم لسيدي، وأخذوا يطوفون به مكررين التهاني بالنجاة ولم ينسوني بأجمعهم من نظرة عطفٍ لا أزال أحملها بين جوانحي، وقدموا نبيذاً أبيض عتيقاً يرون فيه حكمة عقب كل فزع

وأرسلوا في طلب طبيب، وكأنه كان حاضراً، فبدأ يفحص البك حتى إذا ما رفع يده قال: "لا بأس عليك نجوت والحمد لله" فقال له: "متشكر وأرجو أن تكون فحصت زميلي" وقال الحاضرون: "نعم نعم" فكان أول عمل منه لي أن أعطاني حقنة ضد التيتانوس كإشارة مولاي، ولا سيما بعد أن رأى الدم سائلا وظاهراً برباط رأسي، ثم بعد ذلك ضمد جراحي، ولما كانت الساعة قد وصلت الثالثة بعد الظهر تقدم فخامة الرئيس يدعو سيدي للمائدة، وتقدما معاً وخلفهما المدعوون يتقدمون معهم حتى إذا كانوا حول المائدة تناول سيدي قليلا واقتديت به كإشارته خشية الحمى،

وبعد ذلك أخذت صورة فوتوغرافية وقام مولاي مستأذناً شاكراً لفخامة الرئيس وصحبه واتجهنا إلى فندق شهير بعاليه باسم «شاهين» وهناك أقرضني صاحب الفندق بنطلونا [1] حيث وجد بنطلوني الأبيض صار ونصفه الأيمن خيوطا حمراء من السيارة ومن السيارة ومن دمي.

وكما كان صاحب الفندق واسع الكرم كذلك كان واسع الجسم فقد غمرني عطاؤه الفياض وبنطلونه الفضفاض وأخذ مولاي يضحك على منظري في لباسي الجديد، وجلسنا على مقعد في بهو الفندق نتذاكر الحادث فرحين بالنجاة إلى أن قال سيدي: "بماذا تشبه نفسك حالما كنت تتقلب في السيارة" قلت: "كحبة البن في علبتها على النار وما كانت السيارة إلا علبة" فابتسم وقال: "وما كان جسمك إلا لحبة"

ثم أقبل علينا الدكتور وقمنا معه لإحدى الحجرات، وأخذ يفحص للمرة الثانية وانتهى من الفحص يؤكد السلامة، ثمّ أقبل سعادة عرفان باشا وقال: "سلامٌ عليكم ماذا حدث فسرّ لي ما سمعت؟" فقال له سيدي: "كنا رحنا ولكن الله سلّم"، وأخذ يشرح لسعادة عرفان باشا ما حدث ويجيبه مهنئاً بالسلامة، ثم أقبل الأستاذ عبد الوهاب قبل الغروب بقليل وتحدثنا معه قليلاً بالفندق ثم قمنا معه إلى دمشق، وكنت طول الطريق خائفاً أرتجف من تكرار الحادث، ومولاي يبتسم عندما ينظر إليّ ويعرف في وجهي خيفتي إلى أن قال: "ألست مسلماً؟" قلت: "نعم" فقال: "لِمَ تخاف؟ المسلم من سلم واستسلم..." ثم ابتسم وقال: "على أن يكون عاقلا في

(1) حيث كنت قد تركت ملابسي بدمشق.

التسليم ومع كلٍ فالموت آت لا ريب فيه ولو جاءك اليوم كان خيراً لك من الغد فأهل الشام أقارب كل غريب فلو مت هنا اهتموا بأمرك وخلدوك في الحياة ولا أخالهم إلا مودعينك حتى لحدك بمصر وهناك وفودهم ومتوطنوك يموج بهم ميدان المحطة وربما امتدت تموجاته للنواشط(١) فكيف يكون الحال؟ أليس بمستحسن عندك هذا الرأي؟" فابتسمت فقال: "ما عليك الآن إلا أن تموت وترى" فقلت: "عفواً يا سيدي لا أرضى أن أترك بشاشتك وعطفك وأدس في التراب مخلداً" فابتسم وابتسم معه الأستاذ عبد الوهاب قائلا: "ليس حبك للحياة إلا للكباب (٢) فابتسمنا جميعاً، وإن كانت دقات قلبي لا تزال مسرعة خوف الطريق، ولاحظت أن الأستاذ عبد الوهاب قطب وجهه فجأة وأخذ يتمتم كأنه يقرأ ورداً، وأخذت أنا من ناحيتي كذلك أقرأ المعوذتين وآية الكرسي وآخر سورة التوبة، وأكرر ذلك مراراً، ولما رآنا مولاي على هذه الحال قال: "حفظنا الله ببركتكما" وابتسم، وبعد قليل كنا أمام فندق خوام بدمشق إذ كانت الساعة التاسعة مساءً، ومن ثم دخلنا إلى مطعم الفندق وابتدأت جراحي تؤلمني وأخذ سيدي يطمئنني وأشار عليّ أيضاً بأن أكون قنوعاً في طعامي تلك الليلة..

وما كدت أنتهي من المائدة حتى شعرت بشبه دوارٍ خفيف لم يخف على سيدي حيث سبقني بجوابه قبل شكواي قائلاً: "لا بد وأن نشعر في هذه الليلة بإعياء فيستحسن والحالة هذه أن نلازم حجراتنا الساعة وإذا

(١) الشوارع الرفيعة بجانبي شارع رئيسي أو ميدان.

(٢) كنا كلما ذهبنا لمطعم لا أطلب غير الكباب فأخذ ذلك على الأستاذ عبد الوهاب.

أردت أن تسبقني أنت فافعل" وكأنه كان يرى ما يدور بخلدي فقمت أترنح كالنشوان أخذ درج السلم متكئاً رويداً من ألم من فخذي الأيمن كان شديداً، ولم أكد أنتهي إلى ملابس نومي حتى دق باب حجرتي، وإذا بمولاي يسألني ويطمئني فشكرت وتمنيت له الخير والصحة وعلى أثر ذلك اتخذ سبيله لحجرته، وقضيت ليلةً ما رأيت أحلك منها في عينيَّ حيث كانت آلامي تتقدم بتقدم الساعة، وما كانت الرابعة صباحاً إلا وكستني حمَّى ضللت طريقها أهي من جراحاتي؟ أم هي من الحقنة؟ أم هو رعب الحادث؟ وما كادت تمر هذه الخواطر بفكري حتى شعرت بأطرافي تنكمش وصدري يلتهب وكأن أتونا متقداً يلفظ ما فيه فوق رأسي فقمت أهرول في حجرتي والفزع يطاردني فيزداد خفقان قلبي حتى إذا تملكني الأعياء انطرحت أرضاً مستسلماً لدوار وإغماءة..

وما هي إلا بضع ثوانٍ فإذا بي مهرولاً مرة أخرى بين الرعب والفزع مندفعاً إلى باب الحجرة ومنه إلى حجرة مولاي أطرق بابها مرتين وإذا صوت أقدامه تتقدم نحو الباب ويقول من؟ فقلت: "يا سيدي خادمك في شأنٍ جديد أظنه الموت" فقال: "اذهب لحجرتك.. لا تكن ضعيف العقل" فعدت إلى حجرتي حسيراً يزداد رأسيَ ناراً وما كدت أغلق بابي وأجلس حتى سمعت طرقاً ففتحت، وإذا بسيدي يأبى إلا أن يطمئني، ويريد أن يذهب ما عساه أن يكون علق بفكري من إجابته الأولى إذ بدأ يصف لي انزعاجه في نومه عندما طرقت بابه ومكث معي غير قليل يحدثني ونمت على أثر حديثه إلى سريري هادئاً معافىً من كلماتٍ له أطفأت ناراً وأذهبت رعباً

وفي الغد أخذت أعود رويداً إلى حالتي الطبيعية، اللهم إلا بعض آلام موضعية خفيفة عرف أثرها مولاي في وجهي فأخذني إلى صيدلية هناك بالميدان، وكان فيها لحسن حظي طبيب فحصني وعين مراهم أضعفت من حدة الألم كثيراً.

وفي ثالث يوم دعينا في المساء إلى مائدة سعادة مُحَمَّد بك العابد «رئيس جمهورية سوريا الآن» فكنا هناك محاطين بكثيرين من أعيان العلم والكرم بسوريا وسط بهو في قصرٍ فخم جميل غنيٌّ بنقوشه العربية ومرمره، وأخذنا الحديث في جد مع الابتسام وفي مزاحٍ مع الجلال، وعدنا قبل منتصف الليل بقليل إلى الفندق، وعند صعودنا السلم وخلفنا الخادم أسرَّ إليَّ سيدي بأن ستسر غداً بشيء وتفخر به دائماً قلت ما هو يا سيدي؟ قال سترى..

وفي الصباح المبكر طلب سيارة وقال لسائقها إلى صلاح الدين ثم التفت إليَّ قائلا: "ألم تقرأ أو تسمع شيئاً عن صلاح الدين؟".. قلت: "نعم" قال: "إذن تفخر بهذه الزيارة أليس كذلك؟" قلت: "بلى" قال: "هذا هو الخلود في الحياة فقد مرت قرون على صلاح الدين ولا زالت الأجيال تتوارث ذكره".. وعندما وصلنا إلى هناك وقف أمام ضريحه وهمس لي قائلا: "هذا همة. هذا أمة. هذا مجد. هذا فخرٌ. انظر طوته الأرض وهي أبدا تطوي، ولكن ذكره باقٍ حتى تطوى السماء والأرض" ثم وقف برهة يتنقل ببصره حول الضريح وينظر إلى ما سطر بالحوائط ثم أخذ يتمتم بكلمات لم أسمعها واغرورقت عيناه.

وخرجنا ولكنه لم يتكلم طول الطريق حتى الفندق، وبعد ساعة قمنا إلى بيروت فكان أول عمل لنا هناك أن قال لي اذهب لأي ترزي وفصل بدلتين عوضاً عما فقدت، وفعلا تم ذلك في يومين فأقمنا هناك أياماً تخللها كثيرٌ من الحفلات والزيارات للأدباء وخيرة العلماء بلبنان، وكثيراً ما زار الفقيد إدارة جريدة المعرض وإدارة جريدة الأحرار ووردت بعد ذلك بوستة من مصر بها دعوة لي بخصوص أعمال هناك فقال: "كان يهمني أن تبقى معي ولكني أوثر الآن أن تذهب لقضاء هذه الأعمال ولتطمئن ولديَّ ووالديك خشية الأخبار المشوهة عن الحادث" وقمنا تواً فأخذت تذكرة السفر وفي الغد زودني بما يجب عليَّ في طريق البحر من لبس الصوف والمحافظة على نفسي من البرد، وصعدت بسلم الباخرة ماريت باشا يوم ٢٥ يوليه سنة ١٩٣٠ فوصلت إسكندرية يوم ٢٦ أي في اليوم التالي وجاء بعد ذلك فوصل ميناء الإسكندرية في ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٠

ابن عمي

كنت ومولاي في بيروت سنة ١٩٣٠ وفي صباح يوم من أيام شهر يوليه حبب إليه أن يجلس في قهوة نجار بميدان البرج، ولم نكد نأخذ مجلسنا حتى طلع علينا رجل يهب الزهو من أردانه ونكاد نلمس الغرور متورماً في أوداجه وأبى هذا المخلوق إلا أن يأخذ مكانه على منضدة بقرب التي نجلس إليها، ولم يستقر به الجلوس حتى أطلق يديه بالتصفيق الصاخب حتى إذا جاء الجرسون أمره في غلظة وخشونة باستحضار أرجيلة «شيشة» فاسترعى هذا الرجل وحركاته ونبرات صوته الجافة انتباه مولاي الذي كان يخيل لي ساعتئذٍ أنه يتأهب للنظم فالتفت إليَّ وقال: "يظهر أن هذا الرجل «سارق امرأة»؟" قلت: "وكيف ذلك يا سيدي؟" قال: "لأني رأيته يشبه الرجل الذي سرق امرأته" ثم ابتسم وقال: "كنت هنا من عامين، وكان معي الأستاذ سليمان فوزي صاحب الكشكول والأستاذ عبد الوهاب فدعانا أحدهم لزيارته في قريته الواقعة فوق الجبل ووعدنا أننا إذا زرناه سيشنف أذاننا بسماع صوت امرأة حسنة الصوت وزاد في ترغيبه لنا فقال وهي امرأة سرقها زوجها الحالي من زوجها الأول وفرَّ بها من السودان عائداً إلى لبنان وكل هذا من أجل صوتها. فرغبنا طبعاً في سماع هذه المرأة المسروقة وفي سماع هذا الصوت الذي يغري على سرقة امرأة من زوجها، وفعلا ذهبنا إلى زيارته وسمعنا المرأة وكان صوتها لا بأس به وإن كان لا يبعث على ارتكاب جريمة سرقتها وليس في كل هذا شيء مهم..

ولكن الأمر العجب هو أن المرأة كانت تغني إحدى قصائد الشوقيات فقال أحد رفاقنا أنها لطيفة الذوق باختيارها هذه القصيدة تحية لصاحب الشوقيات. وحصل أنها أخطأت في الإلقاء خطأ أمِيّاً لعينا فالتمسنا لها العذر وعزوناه إلى الملحن الذي حفَّظها. وبعد انتهائها من الغناء جاءت إلى جانبنا فسألها أحد أصحابنا من الملحِّن؟ فقالت «ابن عمِّي» تريد زوجها فعجبنا وسألها آخر ومن المؤلف يا ترى؟ فما كان أشد دهشة رفاقنا حين أجابتهم وأيضا ابن عميَّ هو المؤلف. وكان زوجها آخذا كرسيِّه في ناحية من الحجرة التي نسمر فيها جالساً عليه جلسة الزهو والفخار فسأله أحد الصحاب قائلا هل هذه القصيدة من تأليفك يا سيدي فما كان منه إلا أن ألقى برأسه إلى الخلف ونفث كل ما في فمه من دخان الأرجيلة وهز برأسه أي نعم. فالتفت إليَّ صاحبي لفتة المتَعجب فقلت لا تعجب أنه ليس ببعيد على الذي يسرق المرأة ويتزوجها أن يسرق القصيدة ويدعيها.

آراؤه في بعض الرجال

الدكتور علي العناني [١] رجلٌ متضلع ذو ضمير حيّ سريع الخاطر ذو خلق وفيّ.

الدكتور أبو شادي: شاب طموح نشط مجتهد شغلته صوالح الأعمال عن طوالحها.

الأستاذ الكيلاني: (قالها وهو يبتسم): الكيلاني كعقرب الثواني قصير ولكنه سريع الخطى منتج يأتي بدقائق الأمور.

الأستاذ محمود أبو الوفا: شاعر رقيق حساس.

الأستاذ خليل مطران[٢]: ذو أخلاق سامية طيب القلب لم أتذكر مرة أني سمعته يغتاب أو رأيت عليه حقداً لإنسان، ولن أنسى له أنه لازمني مرة أياما عدة وأنا مريض بالرمد في فندق بالإسكندرية.

السيد وحيد الأيوبي: رجل مؤمن ذو عقيدة ثابتة.. (ثم قال مُبتسما) هو رجل من النوع الذي تحبه أنت بل وتحبه جميع الناس وفوق ذلك له آراء قيمة هادئ الحديث إلا على الملحدين باراً بالضعفاء والمساكين، وكثيراً ما كان يتفنن في اتخاذ أصدق طريق للصدقة فكنت تراه يضيع وقتاً كبيراً في دراسة إعلانات البيوع الجبرية حتى إذا أتي على مثل بيع أردب

---

(١) سمعت منه هذه الجملة عام سنة ٩٣٢ بالإسكندرية على دفعتين.

(٢) سمعت منه ذلك عقب زيارة حضرة الأستاذ للمغفور له بالإسكندرية عام سنة ٩٣٢.

لرجل أو امرأة في أي بلد كانت أو بيع آنيته أو بعض منقولاته انتقل حالا إلى مكتبه وأخذ يحرر حوالات البوستة إلى هؤلاء، ولا يتحدث عن نفسه ولا يفخر وما عرفت ذلك إلا صدفة، وما كان هذا العمل بهذا الشكل إلا دليل رحمته وإيمانه.

الأستاذ معروف الأرناؤوط: كاتب علاَّمة متضلع كثير الاطلاع غيور لدينه وفي عام سنة ٩٣٢ زاره الأستاذ معروف بمصر وبعد أن خرج قال لي صدري ينشرح وقلبي يفرح بلقاء إخواننا السوريين واللبنانيين وأراه كلقائي لأهلي بعد سفر. وكنا نتردد على المنزل الذي يسكنه الأستاذ معروف بشارع المغربي مدة إقامته في مصر ويبعثني لأسأل عنه ويقول لي لولا خشيتي من أن أكثر عليه فيرى ما أراه من كرمهم لما تركته في القاهرة بغيري لحظة.

إسماعيل بك شرين: في نوفمبر سنة ٩٣١ وعقب وفاة المرحوم حسين بك شرين عند خروجنا من منزل إسماعيل بك ولمناسبةٍ قيل له: أرى في إسماعيل بك براً بالضعفاء، فقال لم يزد على أبيه وجده شيئاً هذا بيتُ أعرفه من نصف قرن وأسمع عن ماضيه أن الشهامة فيه تأبى إلا مناصرة الضعفاء وتأبى مائدته إلا القرِى. ثم قال: كان إسماعيل بك والمرحوم حسين بك أجمل وأكمل وأذكي وأكرم أخوين رأتهما مصر.

لكل أجل كتاب

في ١٥ نوفمبر سنة ٩٣٠ جاء البك الساعة ٨ مساءا إلى الكتب يرتجف قائلا حقا لكل أجل كتاب. قلنا ماذا؟.. قال كنت الساعة مخترقا

شارع فؤاد الأول قاصدا ناحية صولت الحلواني ولكن قبل أن أنتهي إلى رصيف صولت بخطوة واحدة دفعني أتوبيس الجيزة دفعة قوية بضغط حتى خيل إليَّ أن بيتا انقض على ظهري، ولولا رحمة الله بأن جعل جانب الأتوبيس بيضاويا أملس وجعلني أبكر لحظة لكنت الآن ثاويا هناك، وما كانت اللحظة في سني الحرب إذ كنت في أوروبا مع سمو الخديوي السابق وكان سموه مدعوا في حفلة للطيران وحسب إشارته سبقته إلى هناك ووقفت أتحدث في ناحية مع أحد اللوردات «سماه ولكنه غاب عني» وكان شهيراً وفي هذه اللحظة لاحظت سمو الخديوي السابق مقبلا فاستأذنت محدثي وذهبت إليه ولكني لم أكد أخطو خطوات قليلة حتى سقطت طائرة ولم يتفق سقوطها إلا وفي المكان الذي لبثت واقفاً فيه أتكلم مع للورد المسكين الذي تركته وما هي إلا لحظةً واحدة وصار أجزاءً.

ثم التفت إليّ وقال: "وأظنك لم تنس حادث الشام وما هو ببعيد، ولا بالذي ينسى فإنه لولا استقرار السيارة في القلبة الثالثة لكنا قطعاً منثورة في أسفل الوادي نسأل الله اللطف".

الرحمة بالضعيف

في يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣١ كنا في المكتب مساءً، وكنت أعمل حساب المتحصل من الإيجارات فإذا هو ثلث ما كان يتحصل في العشرة الأول من مثل هذا الشهر في كل عام فقلت للبك عن ذلك، وبينما نحن في الحديث جاءني أحد المستأجرين يطلب تخفيض الإيجار له للمرة الثانية أو يخرج من سكنه، وقد وعدته بمقابلتي في اليوم التالي ولما سمع البك حديث الساكن عدنا لحديثنا الأول عن الحالة والأزمة وانتهينا من الحديث على أن قررنا الاقتصاد في كل ناحية من نواحي المصروفات.

وفي ثاني يوم الساعة ١١ صباحاً جاء سيدي كعادته ولكنه عندما نزل من سيارته وجد بضعة نفر أمام الباب يتسابقون إليه فناول بعضاً منهم شيئاً من النقود بعده وأعطاني لأناول الآخرين، ودخلنا المكتب وبعد بضع دقائق جاء الخادم بالقهوة وضمنا طلب الأذن لثلاثة إنهم جاءوا من ساعة وذهبوا على أن يعودوا وها هم الآن أمام الباب منتظرون فسمح لهم البك وقابلهم بابتسامته وسلم عليهم بأسمائهم، وقال لهم: "هل من خدمة؟" فقال أحدهم أنه وكيل عن مجلتين وأن زميليه أصحاب جرائد سماهم وأنهم يريدون الاشتراكات فابتسم الفقيد، وقال: "أما المجلات فلم أر منها شيئاً وأما إحدى الجريدتين فأعرف أنها صودرت من سنة ولم تظهر بعد وأما الثانية فحقيقة أني لا أزال أراها ولكن كل ثلاثة شهور" مرة فسبق صاحب الجريدة التي صودرت بقوله: "ربنا يبقيك لنا يا سعادة البيك من لأهل

الأدب غيرك نصير؟" فأشار إليَّ بما يرضيهم، وفعلا انتقلت معهم إلى حجرة ثانية وخرجوا شاكرين غير أنه قال لي بعد خروجهم إن بعض هؤلاء كتاب مجيدون وكانوا في يوم ما في رغدٍ من العيش. قلت ولكن يا سيدي لم تتبع ما قررناه أمس وها نحن قد رجعنا بمصروفاتنا لأوسع من أيام الرخاء فخمسة جنيهات في نصف ساعة اليوم.

فابتسم وقام قائلا: "ليس ذنبي، إنما هو مكتبك هيا بنا نخرج منه" وعندما وضع قدمه على سلم السيارة خاطبه أفندي يهتز كأن به شللا فقال له البك: "الله يسهل لك" فألحَّ الرجل فأعاد عليه بصوتٍ عالٍ قائلا «قلت الله يسهل لك» ثم أمر السائق بالسير وقال لي: "لو اتبعت رغبات كل هؤلاء لأصبحت مثلهم" وبعد أن وصلنا إلى شارع فؤاد الأول قال للسائق: "عُد إلى المكتب" وقال لي: "انظر إلى الرجل الأخير ربما تجده في الطريق" وعند تقاطع شارع دوبريه بشارع توفيق وجدناه سائراً فأوقفنا السيارة بجانب الرجل وأشار إليه وناوله شيئاً لم أتبينه وقال له: "لا تؤاخذني" وعاد يقول: "أشق شيء عليَّ أن أكسر خاطر أي مخلوق كان: هذا وما يدرينا ربما كان هذا الأخير أحق من السابقين".

عطفه على المرضى

في الساعة ١٢ من مساء ٧ يونيه سنة ١٩٣٢ استأذنته أن يسمح لي بالانصراف؛ فقال: "لم هذا؟.. لا تعجل فبعد نصف ساعة سيوصلك السائق للمنزل" قلت: "لم أقصد المنزل الآن إنما أقصد البحث عن برتقال بلدي كطلب والدي المريض" فاهتم بالأمر وأخذ يسألني عن مرضه ثم قال: "ولكني سآتي معك كرياضة لي ولكي أساعدك بالسيارة على البحث" وفعلا وعبثا حاولت أن أجد البرتقال، وكانت الساعة الواحدة صباحاً إلا قليلا وخجلت منه وقلت: "يا سيدي تفضل أنت وسأبحث أنا" قال: "ألم يكن الأفضل البحث في النهار، وتكون الأبواب جميعاً مفتحة؟" قلت: "بلى، فليكن رأي سيدي" وافترقنا على أن يذهب لمنزله في الجيزة وأنا لمنزلي في الحلمية.

ولشد ما دهشنا عندما تقابلنا بعد عشرين دقيقة في محل ليبتون الحلواني بشارع قصر النيل حيث رآني قبل أن أراه فناداني فالتفتُ إليه فإذا هو يشرب القهوة وقال: "ما جاء بك؟" قلت: "خشيت أن تكون هذه الليلة آخر ليلة لأبي فعدت أدراجي معاهداً نفسي على أن لا أعود إلا بالبرتقال وظننته أخيراً لا بد موجوداً في ليبتون حيث رأيت فيه فاكهة مختلفة أول من أمس" قال: "وكيف جئت؟" قلت: "سائراً على أقدامي حتى لا يفوتني في طريقي حانوت فكهاني" فقال: "أنت ابن بار وحيث أنت هكذا سأسعى معك مرة أخرى" وفعلا قمنا من ليبتون قاصدين فكهانيا في

باب اللوق فوجدت قبل أن أسأل التاجر خمس برتقالات في جانب المحل وهم على وشك أن يذبلوا فأخذتهم فرحا شاكراً الله وقبلت يد البك وقليلا ما كان يمكنني من تقبيل يده عند السلام عليه.

وبهذه المناسبة أذكر أن الفقيد جعل مرتبات شهرية تصرف لبعض الخدم الذين عجزوا عن الخدمة لكبر سنهم ولأبناء خدم أبيه ولبعض أناس كانوا من بيوتات عالية ونكبوا ولآخرين قال أنهم كانوا معه أطفالا بمكتب الشيخ صالح وهم الآن فقراء.

أقول أنه لو رأى أحد هؤلاء صرف مرتبه ولاحظ عليه مرضاً أو سمع منه شكوى مرض حياه بمبلغ آخر وقال: هذا من عندي أنا لتستعين به على الدواء وليس له علاقة بمرتبك الشهري وذلك بعد أن يؤكد عليه بأن لا يهمل نفسه وأن يحاذر من البرد الخ...

رأيه في بعض المجالس

في **٢٥ أغسطس سنة ٩٣٢** في منتصف الساعة السابعة مساءً كنا عائدين من واحة مصر الجديدة؛ فسمعنا صوتا يرتفع من أحد اثنين يدل مظهرهما على أنهما من ذوي اليسار والصوت هكذا (دا رجل ابن...) فالتفت لي البك وقال سمعت؟ قلت نعم. قال ربما كان الغائب صديق الاثنين. هذا بلد عجيب. وربما كان أولى الأسباب في شقائه مجالس بعض المترفين فيه... سأذكر لك حديثا فكها.. بعد عودتي من إسبانيا تعودت أن أجتمع ببعض الأصدقاء بعد خروجي من السينما، وكنا أكثر من عشرة نكون حلقة في مجلس واحد بمحل صولت الحلواني وننتقل من حديث لآخر حتى انتهاء السهرة وقضينا على هذه الحالة أكثر من شهرين وأنا غير مرتاح لما يدور لأني لاحظت أن في أهل هذا البلد ذكاءً حقيقةً، ولكني أرى بعضهم يصرفه أسوأ تصريف. فقد تسمع من أحدهم لفظاً واحداً فترى فيه عدة مقاصد ومعان.

قلت: "كيف ذلك؟" قال: "ترى في هذا اللفظ الواحد وقاحة ونفاق ورياء وغيبة[١] فهمت؟ أو محتاج لشرح؟" قلت: "فهمت. هذا حقا نسمعه كل يوم".

فقال: في ليلةٍ من تلك الليالي فاضَ فيها النفاق وزادت الغيبة همست

---

(١) يريد أن أحد الناس يسب آخر بلفظ واحد فيسرف أولا في اختيار اللفظ الوقح ويقوله في غيبة صاحبه وينافق ويملق محدثه والسامعين.

لأحد الجماعة وهو الذي أظن فيه خيراً وقلت له عندي ميعاد ويسرني لو كنت معي فقال كما تحب واستأذنا من الإخوان وخرجنا، فقلت له: "ما رأيك في حديث الليلة؟" فقال: "ليس فيه إلا أذى وإساءة" فقلت: "إذن أنت مثلي. وما رأيك إذا تغيبت أنا غدا وتسمع أنت كل ما يقال عني وتقابلني بعد ذلك على أن تصدقني" فقال: "نعم الرأي".. وتم ذلك وجاءني في الغد قائلا أن السهرة انتهت بسيرتك وعلى غير ما تحب طبعا فاتفقنا على أن أقوم بدوري وفعلا حضرت الجلسة التالية ولم يحضر هو فكان الحديث على صديقي.

ومن المدهش أنهم كانوا يقولون عنه أنه منافق ومغتاب والحقيقة أنهم هم المغتابون ولكنهم لا يعلمون عن أنفسهم إلا الخير؛ فقلت لصديقي ما دار أيضاً وهو ما كان منتظراً واتفقنا بعد ذلك على أن أبقى ليلة في المجلس ويخرج هو بأحد الجماعة لسبب يختلقه بشرط أن لا يشعره بما نقصد طبعاً وأنا بدوري بعده، وهكذا حتى أتينا على أكثر جماعتنا في بضع أيام فكان نصيب كل غائب لا يقل عن نصيبي في أول ليلة، وما رأيت لسوء الحظ في الجماعة وفياً أو مدافعاً عن أخيه في غيبته. لذلك تراني من هذا اليوم لا أستقر مع جماعةٍ وإن زارني بعضهم يظهر عليَّ القلق وأبقى ولا شيءَ أحبَ إليَّ من التخلص منه. وربما أخذ عليّ بعض الزائرين ذلك.

أشق الساعات

في مرة قال لي لم أر في حياتي أشق عليّ من ليلتين: الأولى في سنة ٩١٠ وكنت قد كلفت في الساعة التاسعة منها على عمل تقرير يقدم في صباح اليوم التالي: ولما كنت مرتبطا مع أصدقائي بموعدٍ قبل ها التكليف، وكان موعدنا على أن نتقابل في قهوة بميدان الأوبرا فقد أخذت أوراقي واتخذت ناحية في القهوة، وهكذا كنت أتنقل بين العمل والأصدقاء حتى لا أخل بواجبٍ ولا وعد وفي الساعة الواحدة كنت قد أتممت ما كلفت به فقمت فرحا وذهبت إلى منزلي ولكني بعد أن خلعت ملابسي جلست أراجع ما كتبت فإذا بعض الأوراق فاقدة؛ فارتديت ملابسي في الحال وعدت إلى القهوة فإذا أبوابها مغلقة ولا أعرف منزل صاحبها ولما كانت الأوراق الفاقدة ذات أهمية كبرى وقفت أمام الباب حائراً لا أدري ماذا أفعل «وهل هي لا زالت على المنضدة أم تناولتها يد» هذه الجملة كانت ملازمة لدقات قلبي وفي السادسة صباحا جاء الجرسون وكان يونانيا وعندما رآني من بُعد أسرع الخطى إليّ قائلا: «أنا بكرت من أجلك وقد حفظت أوراقك عندي». كانت هذه الجملة مع عجمتها من يوناني من ألذ ما سمعت في حياتي بعد أن وقفت أكثر من أربع ساعات مضطرب الفكر فيها فناولته كل ما كان معي وكان حول العشرة جنيهات وعدت فرحا ولم أنم بعد في هذا اليوم.

أما الليلة الثانية فكانت في سنة ١٩١٥ «وكنا في طريقنا للمنفى

بإسبانيا» وقبل أن تصل مارسيليا بقليل علا الموج فاضطربت السفينة وأنذرنا بالخطر فعلا الضجيج وهذا فوق ما كنا فيه أنا وعائلتي من هم وتفكير لمفارقة الوطن فجأة. فكانت ساعة ذات هول عظيم وكلما نظرت إلى ولديَّ علي وحسين ازداد رعبي وطار لبي، وبقينا أكثر من ساعة في عذاب شديد حتى أراد الله وبُشرنا من رجال السفينة بزوال الخطر.

ملاحظات

ولد أمير الشعراء	سنة ١٨٦٨	وسافر أوربا لتتمة الدراسة	سنة ١٨٨٧
ودخل مكتب الشيخ صالح	سنة ١٨٧٣	وعاد إلى مصر	سنة ١٨٩١
خرج من المدرسة الخديوية		ونفى إلى إسبانيا	سنة ١٩١٥
ودخل مدرسة الحقوق	سنة ١٨٨٣	وعاد إلى مصر أواخر	سنة ١٩١٩

وسألته ذات مرة عن المرحوم مصطفى باشا كامل فقال كان كله قلب. وفي مرة أخرى قال كان شعلة من الوطنية.

كان أمير الشعراء مدى حياته في رغد من العيش وترك أملاكا ومؤلفات عديدة ورائجة وكان لا يبخل على نفسه ولا على أهله بالنفقة الواسعة وكان في صيف كل عام يسافر إلى أوربا أو إلى الآستانة تصحبه أسرته وفي السنوات الأخيرة قبل مرضه كان يقضي مصيفه إما في أوربا أو في سوريا ولبنان. وفي السنتين الأخيرتين كان يقضي الصيف بالإسكندرية.

أبناؤه

أما أبناؤه فثلاثة: وهم كريمته حرم حضرة صاحب العزة حامد بك العلايلي، ونجلاه هما الأستاذ علي النجل الأكبر كموظف بوزارة الخارجية

ومتزوج، والأستاذ حسين موظف بالجامعة المصرية ولم يتزوج بعد.

مؤلفات أمير الشعراء في الشباب

عدد	عدد
– رواية لادياس	– مذكرات بنتاؤر
– رواية ورقة الآس	– كتاب الشوقيات الأولى
– رواية علي بك الكبير	

مؤلفاته بعد عودته من إسبانيا

– الشوقيات جزء أول		– عنتره	شعر
– الشوقيات جزء ثان		– أمير الأندلس	نثر
– رواية كليوباترا	شعر	– كتاب أسواق الذهب	
– رواية مجنون ليلى			
– رواية قمبيز			
– علي بك أو دولة المماليك			

تحت الطبع

– كتاب عظماء الإسلام	– كشكول جامع لقصائد لم تنشر وقصائد سهلة للأطفال والأغاني الخ. وربما أخذت ثلاث مجلدات
– الشوقيات جزء ثالث	

- الشوقيات جزء رابع

- رواية السيدة هدى

- رواية البخيلة

أما مكتبته فحافلة بالكتب القيمة وبها ما يزيد عن الألف سفر عربي وعن الخمسمائة باللغة الفرنسية والتركية.

عاداته

كان بشوشاً يقابل كل من زاره بابتسامة ويقدم السجائر بنفسه أحياناً وكان أحب شيء لديه القدرة على إجابة كل رجاء، وكان إذا طُلب إليه شيء ورأى ظروفاً ولا تمكنه اعتذر فإذا ألح الراجي لم يغضب بل يعده بأنه سيحاول ويجهد نفسه.

كان يتصدق كثيراً، ولكنه كان يكره أن تمس يده يد السائل خصوصاً إذا رآه قذراً، وكثيراً ما كان يكلفني أن أناول السائل وفي أول فرصة يقول لي طهر يدك بالكلونيا.

كان لا يرضيه الثناء الكثير من زائر ولا يرتاح من زائر يطيل جلوسه ويود أن لا يزوره مرة ثانية.

كان لا يقبل سيجارة من أحد بحجة أنه يشرب بقطن ومن نوع تعود عليه.

كان لا يرمي عود ثقاب ولا السيجارة قبل أن يطفئهما أو يكلفني بذلك إذا لم يتمكن وكان يحصل ذلك ولو كنا بالصحراء.

كان يشرب الدخان قبل مرضه من نوع السجائر الرفيعة وبدأ بتغييره بنوع آخر بالقطن ابتداءً من ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٠ وكان لا يدخن إلا بمبسم قبل المرض وبعده ،ولكنه بعد المرض كان يكتفي بنصف السيجارة فقط ويلقيها.

كان المبسم الذي يشرب فيه الدخان طوله عشرة سنتم ذا طمبورألومونيوم من الداخل وكان دائما يستبدله في الصباح بغيره يكون قد نظف بالآلكول وبدأ في شهر أبريل سنة ١٩٣٢ يستعمل مبسم محلب قصير لا يزيد طوله عن خمسة سنتي وكان يستعمل المبسم يوما واحدا ولا يعود إليه.

قال لي أنه كان قبل الحرب يشرب كمية كبيرة من الويسكي ولكنه بعد سفره إلى إسبانيا استبدلها بالبيرة وبعد عودته إلى مصر كان يشرب كوبتين ويسكي بالصودا قبل النوم.

وابتداءً من ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٠ أي في بدء المرض ترك الويسكي وفي شهر فبراير سنة ١٩٣١ كان يأخذ ملعقة نبيذ أبيض حلو مع مرقة الكومبوت[١] كإشارة الأطباء، وبقي على ذلك حتى مارس سنة ١٩٣٢ ترك النبيذ أيضاً وفي شهري أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٣٢ كان يأخذ كمية قليلة من البيرة من وقت لآخر وليس في كل يوم ويقول لست مشتهياً لها إنما ذلك لأجل البول وكان بعد المرض لا يقبل رائحة الويسكي.

وكان يحب الكندس «السعوط» وكان يتعاطاه صباح كل يوم ولكنه تركه قطعياً في سنة ١٩٢٨.

وكان لا يأخذ المشروبات في النهار قطعياً، وبعد سني الحرب كان لا يأخذها إلا في غرفته وقبل نومه إلا نادراً إذا كانت هناك حفلة ليلية في

(١) أصناف الفاكهة المغلية بالسكر.

منزله ولا يكثر.

كان يحب المطاعم الإفرنجية، ولكنه كان فيها يطلب الأصناف الشرقية وكانت عادته في تناول الطعام إفرنجية، وكثيراً ما قال أتمنى أن أجد مطعما نظيفاً[١] وقليل الدسم لشرقي فأذهب إليه لأني مع احترامي للوطنيين وحبي إليهم احترم النظافة والنظام أيًّا كانا وفعلا كان إذا علم بمطعم شرقي نظيف ذهب إليه.

وكان أحب الأشياء إليه في الخضار الفاصوليا الحمراء والسبانخ بالبيض والبامية والأسبرجوالكوتليت وكفتة الحاتي والبيض وأما الفواكه فجميعها، وكان يأكل من كل شيء لكل بغير الرغبة التي كان يأكل بها ما ذكر قبل.

أما بعد المرض فكان ميالا دائماً وفي كل مائدة لشوربة الخضار ثم الأسبرج مع البيض أو الفاصوليا البيضاء الناشفة والكفتة بالصلصة والسمك مشوياً كان أو مسلوقاً، ومن الفاكهة عصير البرتقال وعصير العنب وقليل من الموز والخوخ والمانجو.

وفي صيف عام سنة **١٩٣٢** كان يأخذ كاساته [٢] بعد كل عشاء، كان لا يحمل كيساً للنقود ورقاً كان أو فضة إنما الورق كان يضعه في جيبه مع الأوراق الأخرى، وسألته مرة في ذلك قال هي عادة، ثم ابتسم وقال أظن لو جاءني لص وتمكن من السرقة فيمكن أجد ورقة مالية باقية ضمن

(١) يريد بالنظافة تطهير الأواني بالبخار.

(٢) عصير الفاكهة مع دقيق البندق الجميع مثلج.

الأوراق الأخرى.

أما الفضية فكان يوزعها في جيوب صديريته بنظام وكل نوع من القطع في جيب مخصوص.

كان لا ينام بعد الغداء قطعياً بل كان دائماً أبداً يجلس على مقعد طويل بعد الغداء يقلب في عدة كتب.

أحب الكتب له قبل مرضه ابن الأثير. العقد الفريد. جميع الدوارين. الكشكول. الأغاني.

وبعد المرض: العقد الفريد، الأغاني، ابن الأثير، الجبرتي، وفي أواخر أيامه: القرآن، وتفسير النسقي، وكتب الغزالي، وكتاب إظهار الحق.

كان قبل مرضه يقص شعره كل أسبوع مرة أما الذقن فكانت يومياً، وكل ذلك خارج المنزل وبعد المرض كان يقوم بحلاقة الذقن خادمه الخصوصي وقص الشعر كل أسبوع إنما يأتي الحلاق بالمنزل إلا قبل وفاته بشهرين كان يأتي الحلاق بالمكتب يومياً للذقن والشعر.

عادته في تعاطي الأدوية

كان فيما قبل ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٠ أي قبل مرضه يأخذ كل يوم حبتين من حبوب الصحة للدكتور فرنك، وقال لي مرة أنه متبع هذه القاعدة من عشرين سنة، وكان قليلا ما يأخذ أقراص المانزيومبرودول، أما بعد المرض فقد ذكرناه في موضع آخر.

كان عشاؤه دائما خارج المنزل، وكان قبل مرضه يذهب إلى السينما

بعد العشاء مباشرة ويجلس في المقاعد الأمامية لضعف بصره، وللبعد عن الزحام.. أما بعد المرض فلم يدخل السينما قط. قل أن تخلو مائدته في الغداء من أصدقاء، وكان يمر على بعض الأصدقاء في طريقه للمنزل الظهر علّه يتمكن من أخذ من يأكل معه.. كان بشوشاً في وجوه الأصدقاء والأهل والخدم. وكان ميالا لمعرفة نظم الحياة في كل طبقة. كان دائم الحذر يخاف العدوى ويحتاط من المرض مع عطفه على المرضى.

كان ينختم في إصبعه البنصر من يده اليسرى بخاتم من الذهب ذي حجر من الزبرجد الأخضر مربع مستطيل، وكثيراً ما كان ينظر إليه وقت النظم. وكان رحمة الله تعالى يحب الجمال ويعنى به كثيراً سواءً كان في الإنسان أم كان في الحيوان أم في النبات وكانت تتجلى هذه العناية كثيراً طالما كان هذا الجمال صغيراً وكان يتفق لنا أن نسير على أقدامنا في مصر أو في الإسكندرية وكان ربما صادفنا طفل سائراً على قدمه أيضاً فكان رحمة الله عليه يقف تجاه هذا الطفل منعما فيه النظر وكنت ألاحظ حينئذ أن السرور الذي يشعر به مولاي من النظر إلى وجه هذا الطفل يصنع على أسارير وجهه شعاعاً يتجلى بكل معاني البراءة والحب والحنان، وربما زاد إعجابه بالطفل فينحني إليه ويمازحه كما يمازح الوالد البار طفله الصغير إذا التقاه.

وكذلك كان يعجب بالجمال في الخطوط فكان إذا ورد إليه كتاب ينظر فيه فإذا كان خطه رديئاً قال لي اقرأه أنت وابقه عندك، وذكرني به بعد، ولو كان هذا الكتاب من عند صديق. أما إذا كان الخط حسناً فإنه عندئذ كان يقرؤه بنفسه ويثنى على كاتبه، وربما حمل هذا الخطاب أكثر من

يومين في جيبه، وربما عاد إليه أكثر من مرة ولو كان من سائل.

ولعل من المناسب أن أورد هنا ما قاله لي ذات يوم بمناسبة حديثنا عن الذوق العام قال:– خمسة أشياء في الفرنجة جعلتني أقدرها وأنظر إليهم بالإكبار، عندما دخلت بلادهم لأول مرة: تقديرهم للنوابغ، ونظافتهم، وحبهم للنظام، ورفقهم بالحيوان، وقلة الغيبة في مجالسهم، ولا فرق بين أغنيائهموفقرائهم في احترام هذه الأشياء.

ولدي سامي بحضرة أمير الشعراء

في شهر سبتمبر سنة ٩٢٨ زارني الأستاذ محمود أبو الوفا (الشاعر المعروف) بمكتب دائرة الفقيد، وفيما كنا نتحدث معاً انتقل بنا الحديث إلى الرؤى والأحلام؛ فقلت لمحدثي: لقد رأيت من بضع شهور فيما يرى النائم أن دولة سعد زغلول أخذ بيد ولدي سامي إلى صدره وقد رأيت يد الطفل تصل إلى صدر سعد باشا «مع قصر الطفل طبعاً» وأخذ سعد باشا كأنه يلقنه ناظراً إليه قائلا: "الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان"؛ فنظر الأستاذ أبو الوفا إلى سقف الحجرة وارتجل هذين البيتين

سامي أعيذك بالرحمن يا ولدي ... يصونك الله في الدنيا ويرعاك
هذا أبوك رأى رؤيا تنبئني ... عما ستلقاه من مجدٍ فبشراك

وحصل أن دخل مولاي أمير الشعراء وسمع الشطر الأخير فابتسم وجلس وبعد قليل استأذن أبو الوفا وخرج. فقال لي مولاي: "فيم كنتم وبم يبشرك الأستاذ؟" فقصصت عليه كل ما دار بيننا فقال: «أبو الوفا شاعرُ رقيق».

ثم حصل بعد ذلك ببضع أسابيع أن ذهب ولدي سامي للجيزة في الهواء الطلق كإشارة مولاي وعمره كان وقتئذ لا يتجاوز الرابعة ولما رآه مولاي قربه إليه وأخذ يناقشه في أسماء الأشجار والطيور ثم قال لي: "ولدك نيّر" ثم جعل ينظر إلى جبهته وعينيه وقال: "يظهر أن رؤياك حق وأن تأويل أبو الوفا حق وأنه سيكون لهذا الطفل مكانة في عصره فإن في عينيه وجبهته ما يدل على ذلك فإن عشت ورأيت ما يحقق فأذكر لي هذه الفراسة بخير".

وطنيته

في ٢٨ يونيه سنة ١٣٩٠ بقهوة الميرماربشاطيء بيروت بعد أن قرأنا بعض الجرائد المصرية قلت: "أيسمح لي سيدي بكلمة أحملها من وقت كبير وأتردد في عرضها". فابتسم وقال: "قل بغير تمهيد".. قلت: "كنت وقد سمعت بمصر انتقادًا من بعض الناس على عدم انضمامنا لهيئة سياسة". قال: "أعلم ذلك، ولكن أصرح لك– أن انتقادهم لا يمس إلا شخصي فقط. واليوم فقط وسيحمي غدا. أما أنا فلو اتبعت أهواء هذا البعض لمست أمّة وخالفت ضميري وواجبي وما خلقت لهذا، لقد حاولت وعبثاً حاولت أن أرضي هؤلاء «البعض» فكلٌّ يريد أن أكون له دون غيره. وضميريَ يأبى إلا أن أكون له دون غيره وهو قاس إذا لم يُطع وهو أقرب إليَّ منهم".

ثم قال لي: "لقد حاسبت نفسي، وأحمد الله على أن جعلني ذاكراً ديني ووطني في كل ما كتبت".

الذاكرة

كان قوي الذاكرة جدًّا إلى درجة أنه لا يكاد ينسى شيئاً. فقد كان يحدث أننا نذكر أمامه بعض المسائل التافهة، وكان يمضي على ذلك الوقت الطويل، ثم تجيء مناسبة لذكر بعض هذه المسائل فإذا به يذكرها ويذكر كل ما كان قيل في صددها من الأشياء التي نكون قد نسيناها نحن نسيانا تاما لأننا لم نكن لنعلق عليها أيّة أهمية.

ومن ذلك أنه كان لا يكاد ينسى اسم مزارع في عزبته أو مستأجر ذكر اسمه أمامه مرّة على كثرة أسماء المزارعين والمستأجرين وعلى كثرة ما كانت أسماؤهم تتغير وتتبدل.

ومما يجمل أن يقال هنا أنه كان رحمه الله شديد العناية بإدارة أعماله وتدبير أمواله وحسن الإشراف على تصريفها حتى لقد كان بعض أصدقائه يستغربون كيف تصطحب ملكة الاقتصاد المالي هذه مع ملكة الشعر كل هذا الاصطحاب البديع.

ولقد وصف ذلك بعضهم فقال: "شوقي بك له رجلٌ في السماء وأخرى في الأرض".

كذلك كانت قوة ذاكرته عجيبة جدًّا في حفظ الألفاظ اللغوية ومصادرها فقد كان يحصل أن يأمرني بمراجعة كلمة فأتناول أول قاموس تقع عليه يدي ويصادف أني لا أجد هذه الكلمة فأراجعه في ذلك.

فيسألني في أي قاموس بحثت، فأقول «المنجد» مثلا فيقول لا إنها غير موجودة فيه ولكنها موجودة في «أقرب الموارد» مثلا وأنها تقع في مادة كذا، ويطفق ساردا على مسمعي كل ما قيل في هذه الكلمة من أصلها واشتقاقها وكل ما يتعلق بها؛ فأفتح أقرب الموارد فأجد كل ما سرده عليّ موجوداً بالنص والفصل، وكثيراً ما كان يتكرر ذلك حتى حسبته يحفظ قواميس اللغة عن ظهر قلب فكنت أقول له لم تأمرني بالمراجعة إذن فيقول إنما أطلب زيادة التثبت والاطمئنان على صحة ما أقول.

وكثيراً ما كنت أعجب بقوة ذاكرته: غير أني كذلك رأيته في كثير من الأحايين يترك أشياء لها قيمتها ولها خطرها فكنت أعجب لهذه الذاكرة التي لاحظت أنها لا تنسى صغيرة كيف تنسى مثل هذه الأمور فكلمته مرة في ذلك فقال إنني لا أنسى ولكني أتناسى لأسباب ألحظها، وقد فسّر لي هذه الأسباب ما رأيته بنفسي في هذه الحادثة التالية.

كلف إنسانا بقضاء عمل، وحدث أن هذا المكلف لم يقم بما طلب منه وجاء معتذراً فقال البك له إنني نسيت مؤكداً له أنه نسى هذه المسألة نسياناً باتا، حتى إذا انصرف صاحبنا التفت إليَّ وقال: "لقد رفقت بإحساسه أن يتألم فأظهرت له أني نسيت"؛ فعلمت من يومئذٍ إن هذا بعض الأسباب التي يتظاهر مولاي فيها بالنسيان.

بئست الصدقة المزيفة

في ١٥ مايو سنة ١٩٣٢ في ساعة الغروب كان البك جالساً في سيارته أمام مكتب الدائرة وأنا بجانبه حتى يعود إلينا الخادم بشيء طلب

منه. وإذا بقاصدٍ فحياه البك بقطعة من ذات العشرة قروش وانصرف. وفي صباح اليوم التالي جاءه سائل الأمس، ومشى يهرول خلفه عند دخوله مكتبه وهمس إليه فتجهم وجه البك وأخرج من جيبه ريالا وناوله إياه وأسرع خطاه إلى المكتب وقال بعد أن جلس أرأيت قلت نعم هذا رجل الأمس قال هو جاء يقول أن النصف ريال وجده مزيفاً فخجلت منه، بئست الصدقة المزيفة.

وفاة حافظ بك إبراهيم

كان من عادتي، ولا سيما في السنوات الأخيرة، أن أخفي الأخبار المحزنة جميعها بقدر ما أستطيع عن الفقيد وخصوصاً أخبار الأمراض والموت، ذلك لما كنت أعلمه من مبلغ تأثير هذه الأخبار على صحة مولاي ومقدار أثرها السيء في نفسه.

حتى أذكر أني أخفيت عنه خبر وفاة أحد أقربائه الأدنين مدة شهر، وفي سبيل هذا الإخفاء أذكر أن سعادة عرفان باشا جاء ليزور البك فأسرعت وقابلته على الباب ورجوته أن لا يذكر شيئاً عن خبر هذا المتوفى «الذي يمت بالصلة أيضاً إلى سعادة عرفان باشا» وقلت له يومئذ إننا لم نخبر البك خوفا على صحته.

ومن ذلك ما حصل في وفاة المرحوم حافظ بك إبراهيم فقد أخفيت هذا الخبر ثلاثة أيام على سيدي لعلمي أنه سيحزنه كثيراً؛ فقد كان كثيراً ما يذكر حافظ بك بحنو وعطف، وأذكر أنه لما توفيت قريبة حافظ بك قال في أسفٍ: "إنها كانت كثيرة العناية بحافظ بك".

ولكني عدت فذكرت صلة سيدي بأعضاء رابطة الأدب الجديد هناك وتوددهم إليه كثرة مجالسته لهم وأنهم لابد سيذكرون له وفاة حافظ بك وخشيت أن يلومني لكتماني عنه هذا الخبر؛ لذلك بادرت وذكرت له الخبر متلطفاً في تبليغه إليه، ومع ذلك فقد وقع ما كنت أخشى وبدا على وجهه من علائم الحزن ما أنطقه في الحال بالشطر الأول من مرثيته وهو: قد كنت أوثر أن تقول رثائي.

وحدث في اليوم التالي أن طُلبت بالتليفون من صديق عزيز لمولاي قائلا: "لقد جئت هنا «بالإسكندرية» اليوم فبلغ سلامي لأمير الشعراء، وقل له إن بعض الناس في مصر يتكلمون كثيراً في أنه لم يعمل شيئاً لحافظ بك"؛ فأبلغت سيدي بهذه الرسالة كما سمعت فقال: "عجبُ ذلك: ومن أين علموا أني لم أعمل؟ وإذا كنت كما ظنوا فهل هؤلاء القوم يعلمون أن العواطف تساق بالعصا، ومع كلٍ فسأتمم ما عزمت عليه من قبل"

وكان عزمه وسعيه ساعة أخبرته بوفاة حافظ بك أن تقوم جماعة رابطة الأدب الجديد بالإسكندرية بحفلة تأبين تلقى فيها قصيدته.

حياته خارج المنزل

ابتداءً من أول سنة ١٩٢٠ لغاية ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٠ في أول التحاقي بخدمة الفقيد كان مقيما في مطرية الزيتون، وكان يبدأ الخروج الساعة ١١ صباحاً وكان يركب سيارة كبيرة دائماً فيذهب إلى محل جروبي بشارع المغربي، ويتناول فطوره هناك بأن يأخذ «كرواسان» وقهوة باللبن أو جاتوهبالشيكولاتة، وكان دائماً يشرب الماء البارد في شوب كبير. وبعد ذلك يمر على مكتب دائرته بشارع جلال، وربما جاء سائراً على قدميه من جروبي وترك السائق هناك. وعندما يصل الدائرة يقابل من فيها مبتسما ويسأل عن كل جديد حتى إذا علم كل ما هناك عاد فأخذ أي ترام بطريق العتبة الخضراء من موقف تقاطع شارعي الملكة نازلي– توفيق. حتى إذا كان بشارع فؤاد الأول– عماد الدين نزل ودخل إلى أجزخانة «ويزر» لقضاء بعض الطلبات أو يستمر من هناك إلى الكونتنتال، ومن ثم إلى جروبي سائراً على قدميه أيضاً؛ فإذا رأى أن الوقت لا يزال فيه متسع استقل سيارته إلى جريدة الأهرام وجلس مع الأستاذ داود بركات إلى ما قبل الساعة ٢ بدقائق وأحياناً كانت هذه الزيارة لحضرة الأستاذ عبد القادر حمزة أو المرحوم الأستاذ أمين الرافعي، ثم يعود إلى أمام محل جروبي فيجد نجليه منتظرين فيصعدان لجانبه ويذهبون إلى المنزل.

وكان في بعض الأحايين يجعل زيارته قبل العودة إلى عيادة الدكتور محجوب ثابت ويصحبه إلى جروبي حتى إذا ركب نجلاه معهما ذهبوا جميعاً

للغداء بالمطرية. وبعد الغذاء يجلس على مقعد طويل معد لجلوسه ويمد قدميه على مقعد آخر قصير ويأخذ في مطالعة الكتب، وفي الخامسة يخرج من المنزل إلى محل جروبي أو ليبتون « وكان أكثر ميلا للجلوس منفرداً في إحدى زوايا هذه المحال» ويطلب قهوة فرنسية مثلجة ويضع فيها بنفسه كمية كبيرة من السكر البودرة.

وإذا جاءه أحد أصدقائه في هذه الجلسة طلب إليه أن يأخذ ما يريد، وكثيرا ما كان ينظر في وجه زائره ويقترح عليه أن يطلب نوع كذا، وكثيراً ما كنت أرى في وجوه الزائرين ارتياحاً لاقتراحاته هذه كأنهم كانوا لا يقبلون غير ما طلب.

ثم يقابل بعد ذلك فيروز أخته أو بعض أصدقائه، وفي الساعة الثامنة تأتي السيارة إلى المكتب من غيره. ولا يمضي أكثر من ثلث الساعة حتى يكون في المكتب وفي التاسعة يذهب إلى الحاتي الكبير الذي خلف صولت أو محل فلاش أو محل سانتوز بالحديقة فيتعشى ويخرج مباشرة إلى السينما، وكان يوزع أيام الأسبوع على السينمات، وكان دائما يختار المقاعد الأمامية لضعف بصره ثم إذا خرج ذهب فوراً إلى محل صولت فيشرب القهوة ويجلس مع كثير من أصدقائه حتى الساعة الواحدة يعود إلى منزله.

واستمر على ذلك النظام لم يغير فيه شيئاً إلا في السهرة التي تلي السينما، فإنه بدأ يغيرها بعد مضي ثلاثة شهور من سنة ١٩٢٠ فكان أحياناً يخرج من السينما إلى جريدة الأهرام مباشرة ويقضي الوقت هناك مع الأستاذ داود بركات وأحياناً كان يبحث عن وحيد بك الأيوبي فيقضي

سهرته معه بالتيوبار أو قهوة الشيشة أو صولت حتى الساعة الواحدة.

أما إذا جاءهم الدكتور محجوب فقد تطول السهرة إلى الثانية بعد منتصف الليل وأحيانا يشطر السهرة بين داود بك ووحيد بك، وهذا كان نظامه لغاية ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٠ أي بدء المرض

حياته داخل المنزل

في المطرية والجيزة حتى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٠

كان عندما يعود إلى منزله في المساء، ويدخل حجرته يجد الخادم منتظراً فيساعده على خلع ملابسه، ثم يقدم له كوبة كبيرة من القهوة المثلجة، ويعد له أوراقا وقلما وزجاجة الويسكي والصودا المثلجة ثم يخرج.

ويبدأ بعد ذلك بخط بيده ما نظمه طول يومه ويزيده وما تجود به عبقريته ساعة الكتابة، وفي خلال ذلك يتناول كوبتين ويسكي بالصودا يملأهما بنفسه ثم يقوم إلى سريره في منتصف الساعة الرابعة صباحاً ويقوم من نومه في منتصف الحادية عشر، وكان أول من يدخل عليه السيدة حرمه وهي تضرب الجرس للخادم فيأتي ويعمل واجبه تحت إشرافها وكثيراً ما قال لي: "إني لا أرتاح في المنزل إلا بوجود الهانم، ولو لم تعمل لي شيئاً، إلا أن إتقان الخدم لأعمالهم لا يكون إلا بوجودها".

وأول شيء يقوم به الخادم في الصباح أن يأتي بالماء الفاتر والصابون فيغسل رأسه ووجهه ويغسل له الخادم ذراعيه للمرفقين وأقدامه للركبتين بالصابون وبعد أن يجففهما يغسلهما مرة أخرى بالكولونيا ثم يأتيه الخادم بالسجائر مباشرة من غير أكل لأن فطوره كان خارج المنزل «كما بينا في حياته خارج المنزل» وبعد ذلك يخرج من حجرته وينتقل في حجر أخرى بضع دقائق ويعود فيجد الملابس معدة فيلبسها ويخرج ولنا يعود بعد الظهر للغداء يجلس على المائدة ويكلم أفراد أسرته ويمازحهم ويسأل كلا

منهم عن صحته ورغبته، وكان إذا عجب من نوع من الطعام يدعوهم جميعا للإكثار من تناوله.

ملابسه الصيفية خارج المنزل

كان لا يحب غير الصوف؛ فكان يلبس فانلة وحزاما ملاصقا للجسم وكلسونا وزوجين من الجوارب.. كل هذه أنواع رقيقة من الصوف، وفوق ذلك القميص الإفرنجي بياقة ذات نشا، وبمبلغ ذو مشبك والبدلة الفرنجية كاملة ولم أره يترك صديرية البدلة قط شتاءً وصيفاً، ثم الطربوش والحذاء النصفي ذلك ما رأيته في كل صيف لغاية عام سنة ٩٣٠.

ملابسه الشتوية خارج المنزل

كان يزيد فانلة سميكة وكلسونا كذلك، وجوربًا سميكا وطويلا يصل إلى الركبة ورباط عريض بالركبتين كل هذه الأصناف من الصوف أيضاً، وعلى الحذاء غطاء، ثم يزيد صديرية من صوف الجمل والبذلة تبدل بأخرى سميكة ومعطف رقيق في النهار وآخر سميك لليل. وذلك ما رأيته يلبسه في شتاء كل عام لغاية سنة ٩٣٠ وكان يبدأ بزيادة ملابس الشتاء من الخريف شيئاً فشيئاً ويقول «ومن اللطيف يخاف».

ملابسه الصيفية في النوم

عندما يصل المنزل مساءً يرفع الملابس الخارجية ويبقى بالملابس الداخلية جميعها بما فيها الجوارب ثم يلبس جلابية من الصوف رقيقة ويبقى في سريره بغير غطاء.

ملابسه الشتوية في النوم

يرفع الملابس الخارجية ويبقى بالملابس الداخلية، مع ملاحظة أنها زادت في الشتاء ويلبس فوقها جلابية صوف سميكة ومعطف خاص لحجرة النوم، وإذا كان البرد شديداً في ليلة يزيد ملابسه صديرية شعر جميل ويزيد جورباً ويُفرش له في سريره بطانية صوف ناعم، ويغطى بلحاف من حرير محشو بالقطن، وتوجد الدفاية الكهربائية بحجرته حتى حضوره ترفع: هذا لغاية أوائل شتاء ٩٣٠.

ولم يلبس طاقية قط صيفاً ولا شتاءً في سريره وكان يأخذ معه في السرير منديلين كل ليلة صيفاً وشتاءً.

بدء المرض في مساء ٢٣ ديسمبر سنة ٩٣٠

في الساعة التاسعة من صبيحة يوم ٢٤ ديسمبر سنة ٩٣٠ جاءني السائق بالمنزل يدعوني إلى مولاي بالجيزة، ولم يعرف السائق أكثر من هذا؛ فذهبت مضطرباً لهذا الطلب الذي لم يسبق له مثيل حتى إذا وصلت هناك وعلم الفقيد طلبني لحجرة نومه ثمَّ ابتسم وقال لي: "كانت ليلة قاسية"، وإذا يده تهتز ويعلو وجهه شحوب فقلت كيف؟. قال: "رقدت في ميعادي وبعد نصف ساعة أي في الرابعة صباحاً قمت من نومي على ألمٍ في المعدة وخفقان فأرسلت في الحال إلى الدكتور بريسكا وقبل أن يصل حصل قيء ففرج عني كثيراً ولما وصل الدكتور عمل بعض التدفئة والإسعافات الخفيفة، والحمد لله اليوم صحتي أحسن، ولكني مع ذلك ولكي أطمئن أكثر أرسلت في طلب الدكتور سليمان عزمي" ثم قال: "ساعة الألم تذكرت الموت، وأنك في مثل هذه الساعة مهرول بين من يقيم السرداق ومن يحضر النعش.. ثم تذكرتك وأنت تبكيني ولا أظنني أحرم من ترحمك عليّ لأني لم أتذكر أني أسأتك مرةً".. فأجفلت وقلت: "لا سمح الله إلا بالخير" فابتسم وقال: "دائماً لا تحب ذكر الموت ولكنه آت إذا لم يكن اليوم فالغد قريب". ثم جاء الخادم ومعه مظروف كبير قائلا: "جاء أفندي بهذا المظروف، وهو منتظر" ففتحناه فإذا فيه رواية علي بك الكبير تأليف الفقيد من ثلاثين سنة. جاء هذا الأفندي ليقدمها إليه فأرسل له يشكره كما أرسل نقوداً وقال لي: "اقرأ لي بعضاً من هذه الرواية" فقرأت له

صحيفتين قال على أثرهما: "لو أعطاني ربي الصحة بدلتها بأخرى" وجاء الخادم ينبيء بقدوم الدكتور سليمان عزمي فقال يتفضل وأخذ الدكتور يفحص وقال له: "لا شيء إلا أثر برد في المعدة والحمد لله، ومع تعاطيك الدواء الذي أعيَنه لك اليوم يمكنك الخروج بعد بضعة أيام، ولزيادة الاحتياط سأرسل مساعدي لأخذ أنبوبة من الدم لعمل تحليل ومعرفة ما إذا كان هناك «بولينا» أم لا"

وخرج على ذلك، وأخذتُ أتحدث مع البك في مختلف الشئون حتى بعد ساعةٍ جاء مساعد الدكتور وأخذ الدم، وفي الغروب عاد بالتقرير الذي يدل على أنه ليس هناك شيءٌ، وبالتذكرة وبيان وافٍ بالنظام الذي يتبع في الأكل، وفعلا اتبع الفقيد النظام التام في أخذ الأدوية وفي أنواع الأكل لكنه كان يخاف من زيادة الأكل فكان يتناول كميات قليلة جداً ويجعل أكثر ما يأخذ سوائل، واستمر ثلاثة أيام بهذا النظام غير أنه كان يأخذ ملعقة صغيرة صباح كل يوم من ملح كارلسباد زيادة على ما قرره الطبيب، ولم يكن هناك ألمُ وإنما ظهر أثر الضعف فشغل بال الفقيد وخاف أن يكون هناك شيءُ بالقلب، ولكنه بالفحص تأكد أم الضعف من قلة الأكل فاطمأن ولكنه مع ذلك كان دائماً يخاف الزيادة ويقول التخمة شر من البرد وخصوصاً في معدة لا زالت تعبة كمعدتي.

وكان يقول لي: "إن كان مرضي بغير ألم فآلامي كثيرة من ترك عاداتي فقد تركت كوبة من الويسكي والتدخين وتركت القهوة وسجنت في حجرتي كما ترى وكلُ مما تركت ألمٌ كبيرٌ بمفرده وأرجو أن لا يكون ذلك سبباً في إسراع غضبي على أحد وأن رأيتني تظلمت بشدة مع أحد أنجالي فعرفه بعد

ذلك السبب، وأنت كذلك لا تكثر المناقشة في شيء"

«وكانت دائماً مناقشتي مع الفقيد في أن يأكل» ثم استمر الأسبوع الأول على هذا النظام المعين وأخذت أقرأ له في الجبرتي، وأخذ يتمم رواية "مجنون ليلى"، ويعمل رواية "علي بك"، وفي الأسبوع الثاني زاد الضعف، وخصوصاً بعينيه ولكنه لم يهمل نفسه قط فكان يوميا يزوره الدكتور بريسكا: وغيره إما الدكتور سليمان عزمي أو الدكتور جلاد وفي المساء الدكتور صبحي والجميع كانوا يقولون لا شيء إلا ضرورة زيادة الأكل، وكان يطمئن من قول حضرات الأطباء، ولكنه كان يصمم على أن لا يزيد أكله إلا شيئاً فشيئاً..

ثم أخذت أقرأ له في الجبرتي والعقد الفريد طول الأسبوع الثاني وينظم في روايات "مجنون ليلى" و"علي بك"، وبدأ بـ "قمبيز"، وكان ملما بكثيرٍ من الشئون الطبية والكيميائية فقد أرسلني بورقة فيها بيان أصنافٍ سماها هو فجئته بمقاس لضغط الدم وأدوات تحليل البول والمواد اللازمة ومرنني على ذلك بواسطة طبيبه الخاص، وكنت أقوم بعملية التحليل من وقتٍ لآخر أما مقاس الضغط فكان إذا شعر بصداع أو ضيق في وقت متأخرٍ من الليل أو في وقت راحة الأطباء في الظهر وبعدهم عن عياداتهم.

أما نظامي معه فكنت في الليلة التي أشعر أنه في راحة فيها أذهب إلى منزلي بعد أن يدخل فراشه ويرقد حول الساعة الثانية بعد منتصف الليل وأعود إليه في الساعة التاسعة صباحاً بعد أن أمر على المكتب وأحضر له جميع طلباته من أدوية وخلافها وأكثر الليالي كنت أرقد بكرمة ابن هاني في

الجيزة قريباً منه وبقينا على هذا النظام لم يتغير فيه إلا أنه بعد الشهر الأول عاد لتدخين السجائر على أن لا يتعدى ما يدخنه طول اليوم عشرة سجائر بالقطن، وعلى أن أكله زاد قليلا وعلى أن يتناول ملعقة نبيذ أبيض حلو مع مرقة التفاح المغلي بالسكر أما القهوة فجئنا له ببُنَ منزوع منه «الكافيين» بعد ذلك أخذت صحته في التحسين وجئته بعد ذلك في صبيحة يومٍ فقال لي مبتسما: "الحمد الله ربنا أكرمني بأحسن شيء" قلت: "وما هو يا سيدي؟" قال: "أشد الأمراض في نظري من كانت مصحوبة بالأرق، وأنا ولله الحمد أرقد للصباح بغير أرق من يوم مرضت للآن.. غير أني أرجو من الله أن يقويني حتى أتمم رواياتي"

وكانت قد انتهت رواية "مجنون ليلى"، وبقي يعمل في رواية "علي بك" و"قمبيز" و"السيدة هدى" و"البخيلة"، ونقرأ في الكتب السابق ذكرها وفي منتصف شهر فبراير ترك ملح الكارلسباد واستبدله بقليل من سلفات الصودا في الصباح أو المانزيا في المساء وفي صبحة ١٢ مارس سنة ٩٣١ استأذنته في أن يسمح لي ببضع ساعات من هذا اليوم حيث رزقت مولوداً جديداً فقال لي: "أهو الرابع؟" قلت: "نعم" قال: "هذا كثير بالنسبة لسنك ومثلك لا زال أعزب ثم أين الفرق بينك وبين جاهل ألم تفكر فيما يلزم هذا العدد غداً من علاج وتربية. اعمل على أن تكتفي بهذا العدد والطب الحديث يعاونك" قلت: "لقد حاورت نفسي، ولكني كنت دائماً أخاف معاكسة القدر" قال: "ولكن ربما كثرتهم تكون سبب شقائهم". فقلت: "سأعمل برأيك يا سيدي" وسمح لي فخرجت وأنا مشغول بهذا، ولما وصلت المنزل أخذت المصحف كعادتي وعملت

استخارة فكان عجباً أن ظهرت أول آية وقعت عيني عليها هي «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاقٍ نحن نرزقكم وإياهم» فاقشعر جسمي وبكيت فسألتني زوجي فقلت لها إني كنت أفكر في مستقبل أولادنا وعملت استخارة فظهرت ما يأتي وقرأت: قالت: "حسبك هذا" وعدت في الغروب إلى سيدي فقال: "ما نويت؟" فقصصت عليه ما جرى فقال: "لا تسمع لقولي لك في هذا الموضوع ولا تعمل به أنتما شواذ في عصر الحضارة وربما كان الحق معكما"

واستمرت النقاهة بعد ذلك إلى صبيحة يوم ١٠ أبريل سنة ٩٣١ قال لي البك: "أنا اليوم شاعر بقوة.. فهل أقدر على ارتداء ملابسي؟" قلت: "لِمَ لا" وفعلا تم ذلك، وكان هذا اليوم عيد في البيت وبقي ببدلته إلى الليل وعوَّد نفسه على أن يرتدي ملابسه في صبيحة كل يوم لغاية المساء وإن كان لم يخرج إلا أنه أخذ يعود نفسه بالسير شيئاً فشيئاً

وفي يوم ١٥ أبريل نزل إلى الدور الأول بالحجرة الغربية «وكان يسميها الحجرة الخضراء[١]» واستمر بعد ذلك على أن يبقى فيها طول النهار ويطلع حجرة نومه في الليل ومن أول يوم أخذ يعمل فيها الفصل الثاني من رواية قمبيز فانتهى في أسبوع، وفي ذات ليلة قيل له من بعض زائريه خذ قليلا من شوربة العدس فأخذ ولكنه تعب، ولم ينزل عقب ذلك ثلاثة أيام، ثم شفي ولله الحمد وخرج وفي أواخر أبريل بدأ يخرج في الليل قليلاً وحضر تمثيل مجنون ليلى وعاد أول ليلة مسروراً يقول الحمد لله.

(١) لأن بساطها كان أخضر، وحوائطها كانت خضرا.

وبدأ يقلل في الأدوية ويزيد في أكله فتقوى وأخذ يتريض كل يوم في حديقة بيته واستمر على ذلك حتى يوم ١٦ يوليه سنة ٩٣١ سافرنا إلى الإسكندرية للمصيف فاتبع نظاما جديدا في كل شيء: أولا يقوم في الصباح فيأخذ بسكوتا وعسلا أو بسكوتا وجبنة بزيت الزيتون ثم يأكل في الظهر «كوتليت» لحم حولي مشوي ولباب العيش والحلو كومبوت تفاح وفي المساء أرز بالزبدة والفاكهة إما خوخ أو كمثرى واستمر على ذلك طول مدة الصيف.

أما الأدوية فقد ترك ما كان يأخذ وبدلها بسلفات الصودا في الصباح والفيتامين ونترات الصودا والأنجيوكسيل كل ذلك مخلوطا في نصف كوبة ماء قبل الغداء يؤخذ شهراً ويترك شهراً وكان دائماً يأخذ المانزيومبردرول. وأما الرياضة فقبل الظهر في البلد وبعد الظهر في طريق المنتزه سيدي بشر وأبو قير والسهرة بمنزل المرحوم حسين بك شرين. وأما العمل فكان في روايتي "عنترة" و"أميرة الأندلس".

وفي يوم ٢٨ سبتمبر سنة ٩٣١ عدنا إلى مصر فكان نظام الفطور والغداء كما كان في الإسكندرية وأما العشاء في مطعم ريتس. وأما الأدوية فقد استبدلها جميعها بحبتين لاكتوبيل عند النوم والمانزيومبردرول عقب كل أكل والأورسيدين الساعة ٨ مساء كل يوم يأخذه شهراً ويتركه شهراً واستمر على ذلك لغاية صيف سنة ١٩٣٢ وكانت السهرة في منزل صاحب العزة إسماعيل بك شرين.

وفي الساعة الخامسة من مساء ١٢ يونيو سنة ١٩٣٢ خرجنا من

المنزل بالجيزة إلى مكتب الدائرة وفي الساعة السابعة والنصف أخذنا القطار إلى الإسكندرية للمصيف وجلسنا في قاطرة بولمان حيث جلست مقابلا للفقيد وبيننا منضدة وضعتُ عليها كتاباً كنت مصطحبه معي وأخذت أقرأ له جرائد المساء، وبعد ساعة جاء الخادم وأخذ يعد العشاء فوق المنضدة وعند رفعه للكتاب السابق ذكره لحظه البك فقال لي: "ما هذا؟" قلت: "كتاب المختصر من مكاشفة القلوب للغزالي" فقال لي: "أسمعني منه شيئاً بعد العشاء" فلبيت، وبعد العشاء بدأت أقرأ فيه، وما أتممت صحيفة حتى قال لي: "هذا كتاب قيم" وبقيت أقرأ له حتى محطة سيدي جابر نزلنا وتوجهنا للمنزل مباشرة ونام في هذه الليلة الساعة □□□ أي بعد وصولنا بنصف ساعة فقط وذهبت أنا لحجرتي

وفي الساعة ١١ من صبيحة اليوم التالي جلس على مقعدٍ كبيرٍ معدّ له بالفرندة الكبيرة في منزله المواجه لشارع الكورنيش، وقال لي: "أين كتاب أمس؟" فجئت فقال لي: "اقرأ الفهرست" فأسمعته عناوين المواضيع حتى إذا قلت «بر الوالدين» قال لي: "أسمعني هذا" فقرأت ولما انتهيت قال لي: "لا تختر بل اقرأ ما بعده" وهكذا بقيت حتى منتصف الساعة الواحدة ولم يبق إلا موضوعُ واحدُ وهو وفاة «رسول الله ﷺ» ولكني لفته إلى أن هذا الوقت موعد رياضته فقال حتى تتم فقرات له موضوع الوفاة فأخذ يبكي، ولتأثري من الموضوع ومن بكائه بكيت حتى أتممنا. قال: "هيا بنا إلى رأس التين" فأخذنا السيارة ومن ثم قال: "إلى المكتبة العباسية، وسل هناك على كتب الغزالي"

ولما لم أجد قال: "لنبحث في غيرها" فتقدمنا بالسيارة حتى «زاوية

الأعرج» رأيت قريبا لي فوقفنا بالسيارة نسأله قال: "اعرف المكتبة التي تبيعكم هذا" وذهبت معه بعد أن قال الفقيد: "لو وجدت كتاب البخاري احضره أيضا" وبقي بالسيارة ينتظر.

وبعد بضع دقائق عدت إليه أحمل ثلاثة مجلدات أحدها البخاري والاثنان الباقيان كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي؛ فقال: "أفقت؟" قلت: "نعم وإن لم أجيء بجميع كتب الغزالي" فقال: "كفاك هذا الحمل حتى ننتهي منه نبحث عن حمل آخر" وابتسم ثم سرنا في طريقنا وقال لي: "اقرأ مقدمة البخاري" فأخذت أقرأ إليه، ولما وصلنا قرأت له أول صحيفة من الأحاديث الشريفة، وجاء الخادم يدعونا للمائدة فقمنا، ولما أتممنا صعدنا لحجرته، وأخذت أقرأ له في البخاري برغبته، حتى الساعة الخامسة ذهبنا إلى كازينو سان استفانو فأخذ القهوة بالفرندة الخلفية، وقال: "قم لنذهب إلى سيدي بشر"، وأخذنا نتكلم حتى وصلنا أمام منزل المرحوم حسين بك شرين، فظهر عليه التأثر وقال: "رحم الله حسين بك.. لقد قضينا سهرات العام الماضي هنا، ولست أدري للآن ماذا ستكون خطتنا ليلا في هذا العام"

ثم أخذ يتكلم عن لطف المرحوم حسين بك وجلده تقواه حتى إذا كنا بمنتصف طريق سيدي بشر لاحظ عمالا منتشرين في الشارع يعملون في إصلاحه وتوسيعه فقال: "سيكون هذا الشارع جميلا ولكن هل نعيش حتى نراه؟" وعند المنتزه انحنينا إلى اليمين للشارع الموصل لشارع أبو قير، وهناك باسقات النخيل متراصة وفصائل غُرسن حديثا على ناحيتي الشارع، وكان يلذ من هذا المنظر فيقف ينظر إليها، وعندها نزلنا لنسير على الأقدام

فنظر إلى عامود مصباح وقال: "ما مقياس المسافة بين العامودين" فقلت: "تقرب من المائتين من الأمتار" فقال: "فلنسر خمسة مسافات ثم لننظر بعد ذلك مبلغ جهدنا" ففعلنا، وكانت الساعة السادسة عدنا من طريق أبو قير إلى محطة فكتوريا إلى بولكلي، فاستانلي باي، فشارع الكورنيش حتى المنزل بالإبراهيمية فلا أود أن أستبدل قهوتي الباردة باليانسون لأرى إذا كنتَ على حق أم لا

«وكان يعرف أني مغرم باليانسون في مثل هذا الميعاد من كل يوم» ونادى بصوتٍ مرتفع لجارية سمراء قال إنها تحسن عمل مثل هذا النوع البلدي ([1]) عن الأخريات وكن يونانيات وبعد قليل جاءت بكوبتين شربناهما، وأخذنا السيارة إلى رصيف رأس التين وقضينا هناك قعودا بالسيارة ربع ساعة وعدنا بعدها بالجرائد إلى المنزل فقرأنا حتى كانت الساعة التاسعة خرجنا إلى مطعم جوانيدس للعشاء، ولما انتهينا قال: "أحسن شيء أن لا نحاول السهر خارج المنزل، والأفضل من ذلك أن نقرأ البخاري هناك" ولما وصلنا وهممت أن أتناول البخاري قال لي: "هل لك أن تحضر مصحفك «وكان يعرف أني لا أسافر بغيره» فجئت به من حجرتي فقال: "شيء عظيم الآن يمكننا أن ننظم طريقنا فابدأ الساعة بالقرآن الكريم من أول الفاتحة، وتتبع ذلك أي نستمر على تلاوة القرآن في مثل هذه الساعة من كل ليلة إلى ساعة النوم على أن تترك علامة عند آخر قراءة كل ليلة لنبدأ في الليلة التالية بما يلي العلامة وهكذا حتى نتمم وفي الصباح تبدأ بكتاب الأحياء إلى ساعة الغداء وما بعد ذلك إلى الليل

([1]) هذه الخادمة قد توفيت عقب وفاة الفقيد.

نقرأ البخاري وأظن النظام في كل شيء يُحب هذا ولكي تكون في راحة من سؤالٍ وجواب"

وفعلا بدأت أتلو القرآن وأخذ يشرح لي بعض الكلمات التي يظنها بعيدة المعنى عليّ، ولما كان بحاشية المصحف شرح لحضرة الأستاذ فريد وجدي أخذت كرة أنظر الحاشية المصحف وأسمع لمولاي ما يشرح، وبعد أن فسر لي هذه المرة قلت هكذا قد فسرها الأستاذ وجدي قال أهذا مصحفه قلت: نعم، قال: "خيرٌ لنرى فيه عوناً" وانتهينا في هذه الليلة في آخر سورة آل عمران. واتبعنا في الأيام التالية ابتداءً من يوم ١٤ لغاية يوم ٢٨ يونيه سنة ١٩٣٢ النظام الآتي وهو:

في الصباح حول الساعة ١١ نبدأ بكتاب الأحياء ساعة ونذهبُ بعدها إلى كازينو سان استفانو ثم نرجع إلى المنزل بعد شرب القهوة وقراءة جرائد الصباح مباشرة، ونعود للكتاب المذكور حتى الساعة الواحدة ونصف نذهب بالسيارة إلى رصيف رأس التين، ونعود من شارع الرمل فنأخذ الفاكهة وما يلزم من الأدوية ونستمر للمنزل فنذهب للمائدة مباشرة وتكون الساعة حوالي الثانية وبعد الغداء نقرأ البخاري لغاية الساعة الخامسة نذهب لكازينو سان استفانو لأخذ القهوة أو لفندق البوريفاج، ثم من هناك لطريق سيدي بشر فنتبع ما اتبعناه بالأمس ونعود إلى المنزل فنأخذ اليانسون ونقضي نصف ساعة نتحدث أو ربما زاره في خلالها أحد، ونقوم في السابعة إلى رصيف رأس التين، ولم ننزل من السيارة بل نعود إلى المنزل بجرائد المساء فنقرأها لغاية الساعة التاسعة نخرج إلى مطعم جوانيدس للعشاء، وربما أخذ بعض الأدباء منه ميعاداً للمقابلة هناك فنقضي ساعة

بين العشاء والحديث بين الزوار على أن نكون بالمنزل الساعة العاشرة فنأخذ في تلاوة القرآن ويشرح لي بعض الكلمات كما سبق ذكرت ذلك

وفي بعض الليالي يطلب أن أقرأ له صحيفة بصوت مرتفع «كما كان يسمعني منفرداً في حجرتي في الأعوام الماضية» وفي بعض الأحيان عند ما كنت أقرأ بهدوء وأمرّ بآية فيظهر عليّ التأثر لمعانيها ويرتفع صوتي بغير ما أشعر كان يبتسم ويقول كيف يكون حالك، ودرست البديع والبيان وعلمت من المعاني أكثر مما علمت الآن لا أخالك إلا جامعا علينا سكان البلد جميعا.

وكثيراً ما كان يشعر بعودة نجليه فيدعوهما إليه ويقبلهما ويقول لهما اسمعا كلام الله.

وفي صباح يوم ٢٩ يونيه قمنا كالعادة لكتاب الأحياء. والفسحة حتى الساعة ٢ بعد الظهر جاء الخادم كعادته يدعونا للمائدة فقام يبتسم قائلا: يا ترى ماذا سنلاقي اليوم؟ «لأني في ذلك اليوم كنت المقترح لأصناف المائدة وكثيراً ما كان يطلب إليّ ذلك قائلا اقترح أنت ما نأكل غداً فنفوز معاً لأنك أن طلبت ستطلب ما تشتهي وهذا يعجبني لأني ارتاح لراحة وحرية من يصاحبني ثانياً ربما جاء في اقتراحك ما يكون غريبا فتفتح شهيتي وكثيراً ما كان يقول لي تذكر ما تأكلون في دمياط واشرح للطاهي كيفية العمل».

وصلنا إلى المائدة وقبل أن أجلس ناداني الخادم للتليفون، ثم كان الطالب أخي من مصر يطلب عودتي بأول قطار يصادفني حيث أن والدي

في الاحتضار وطلب أن يراني فرجعت إلى سيدي استأذنه في السفر مبيناً له الأسباب وكان قد سمع بعضا من المحادثة ولما لاحظ عليّ اضطراباً شديداً قال لي اجلس وكُلْ عسى أن يكون ما عند والدك نوبة عصبية وتزول فلم أقدر قال إن ميعاد القطار لا زال بعيداً وبعد أن أكل قليلاً جداً انتقل معي إلى الفرندة التي كنا نجلس عليها وأخذ يهديء من روعي تارة ويشجعني أخرى بأن يقول ولو فرضنا أنه أمر الله فهذا لا بد عنه ويجب على الإنسان أن يكون رجلا وأن يكون مؤمناً فإن كنت هذا فلا فزع ولا ذهول وأخذ يتكلم بكلمات لا أشك في أثرها الطيب في نفسي وأنها كانت سبباً كبيراً في تحملي مصابي الذي بقيت أخشاه زمنا قبل وقوعه.

ثم بعد ذلك ناولني مبلغاً وسماه مصاريف السفر وقبلني واغرورقت عيناه بالدموع معي وأذن لي في السفر بعد أن أمر السائق والخادم في أن يصحباني إلى محطة سيدي جابر وكنت بالمحطة الساعة □□ ٢وقمت بقطار الساعة الثالثة.

وصلت منزلي بمصر الساعة السادسة والنصف، وكانت إرادةُ الله نفذت وأخذت أعمل عُدتي وإذا بأخي يقول لي لقد تكلم البك من إسكندرية مرتين في الساعة الرابعة وفي الساعة الخامسة ومستعلماً ولما علم في المرة الأخيرة بالوفاة قال لي إن أخاك بالطريق إليكم عندما يصل عرفه بأني قائم بقطار الساعة السابعة [1] فأصل حول العاشرة، وفعلا الساعة

(1) قام من الإسكندرية إلى مصر وحيداً في الوقت الذي كان لا يرتاح فيه خمس دقائق بشير أنيس.

العاشرة والنصف كان مع نجله الأكبر أمام منزلي ولما قابلته قال لي كن رجلا ولا تبتئس وارحم ضعفك، ثم رأيت الدموع حائرة في عينيه وقال لي: "أما ترضاني لك والداً؟" ثم ناولني مبلغاً أحسبه فاض عن حاجتي وقال هل عندك أحد من أقاربك لمعاونتك؟ قلت نعم قال أنا ذاهبُ للمنول على أن أكون عندك في الصباح فشكرته كثيراً وقبلت يده.

وفي الصباح لحق بنا أمام مسجد السيدة زينب وأراد أن يسير خلف الجنازة فرجوته وألححت في الرجاء خوفاً عليه من ضعف صحته وقلت له: "حسبك يا مولاي: إن ما صنعت معي من جميل لم يصنعه متبوعٌ قبلك لتابعه: ثم قلت له لقد شرفني اسماعيل بك شرين وسار في الجنازة ولكني أخذت في الإلحاح عليه حتى قَبِلَ أن يرجع من الطريق: فقال مولاي بصوت مرتفع أجاء إسماعيل بك؟ قلت نعم قال هذا رأيي فيه وخفت أن أطيل عليه الوقوف تحت حرارة الشمس فتظاهرت له بأني أريد الإسراع لألحق سير الجنازة وقبلت يده شاكراً وكان التأثر بادياً عليه.

وفي الساعة الخامسة عاد إليّ وجلس معي في زاوية من السرادق، وقال لي: "اشرح لي حالك من ساعة وصولك أمس إلى ساعتنا" هذه فأخذت أحدثه وفي وسط الحديث بكيت فبكي معي حتى انتهيت قال: "أليس من المستحسن أن تنيب أخاك ساعتنا هذه وما أظنها ساعة الزائرين وتأتي معي إلى المعادي أو مصر الجديدة لتروح عن نفسك مما رأيت" فاعتذرت بسبب قدوم أقاربي الذين يصلون من بلدهم بعد بضع دقائق فكلمني بما شجعني وذهب وعاد بعد ساعة فجلس في مقعده الأول وخرج وعاد بعد نصف ساعة مع الأستاذ الجديلي فقلت له: "لقد تشرفت بزيارة نجلك الأكبر مع

حضرة الأستاذ محمود طاهر حقي والأستاذ حسين رضا" فارتاح لذلك وقال: "نعم لقد أثر علينا جميعاً ما أنت فيه، ولكني أتعشم فيك الرجولة وأن لا تبقى بجانب البا كيات فتتأثر ببكائهن وتفكر فتمرض وأنت رب عائلة ولكن الواجب عليك أن تنظر في الصباح إلى حياتك المقبلة فتنسى فتصح"

وقام حوالي الساعة التاسعة فسرت بجانبه أشكره وهو يزودني بنصائحه ويكرر لي عطفه وقوله أنه سيكون بدلا من والدي، ثم ركب سيارته وذهب وفي الساعة التاسعة من صبيحة اليوم التالي أرسل إليّ السيارة لأذهب إليه بالجيزة «وكان قد أوصى السائق بهذا في الليل» ولما قابلته بعد أن خرج من غرفة نومه قال لي: "ما قصدت أن أرهقك بعملٍ، إنما أردت أن أنقذك من قادة البكاء ومن أحاديث الموت وقمنا للمكتب فأخذ القهوة هناك وقال: "حُرمنا من الكتب القيمة التي خلفناها بالإسكندرية" فقلت: "هنا كتاب إظهار الحق، قد جئت به للمطالعة في وقت فراغي وهو جامعٌ لمحاورة دينية كبرى وفيه من جميع الكتب المنزلة" فقال: "اقرأ فيه شيئاً" فقرأت ساعة ظهر عليه فيها الاهتمام وقال: "لقد وجدنا ما سدّ الفراغ" وقمنا إلى الكونتنتال فتناول هناك قهوة ثانية ثم عدنا للمكتب فجلسنا نقرأ جرائد الصباح، وقمنا في الساعة الواحدة إلى محل لاباس فأخذنا ما طلب وأردت أن أستأذنه في الانصراف فسبقني بقوله الجميع في إسكندرية كما تعرف ولم يكن معي أحد فتعال معي في الغداء فلبيت وخجلت أن أتكلم ولكن عندما انتهينا من الأكل قال لي: "ما طلبت مجيئك معي إلا لأتأكد من أنك طبعاً لم تأكل أمس والآن اذهب إلى منزلك وحاول أن تلطف على

والدتك وألح عليها في أن تأكل أمام عينيك وبكثرة على أن تكون بالمكتب في الساعة الخامسة" ففعلت بالنصيحة ونفذت ما أمرتُ به ولما جاء المكتب قال لي قم بنا إلى مصر الجديدة ومن ثَم سرنا على الأقدام في طريق السويس ما يقرب من الكيلو متر، ثم عدنا إلى فرع صولت بمصر الجديدة فطلب ليموناً وعدنا إلى المكتب ودخلت حجرة ثانية لأحضر له القاموس كطلبه فوجدت تفسير النسفي وعدت بهما ولما انتهينا مما يريده من القاموس وقلت له لقد وجدت تفسير النسفي فقال اقرأ فيه وابدأ من أوله وكان دائماً يؤثر النظام في كل شيء.

فقرأت له حتى الساعة الثامنة ذهبنا إلى الكونتنتال فأخذ قهوته وعدنا للمكتب بجرائد المساء فقرأناها، وفي التاسعة ذهبنا إلى مطعم سلستينو للعشاء، ومن ثمَّ ذهبنا إلى منزل صديقه إسماعيل بك شرين ومكثنا هناك إلى الحادية عشر وقمنا إلى جريدة الجهاد، ومن هناك ذهبت إلى منزلي على أن يقوم سعادته إلى الجيزة بعد نصف ساعة وفي الأيام التالية لغاية يوم ٥ يوليه اتبعنا هذا النظام جميعه على أن تكون قراءة كتاب إظهار الحق في الصباح وتفسير النسفي ساعة بعد الخامسة وساعتين بعد الرياضة بمصر الجديدة

وسافر إلى الإسكندرية في الساعة السابعة النصف من مساء يوم ٥ يوليه على أن أقوم لبلدتي فأمكث هناك يومين وأعود منها إلى الإسكندرية وفعلا كان ذلك وعدت إليه يوم ٨ يوليه وعدنا إلى نظامنا السابق قبل السفر إلى مصر اللهمّ إلا فيما بعد الغداء فقد كنت اقرأ له في البخاري حتى الساعة الخامسة ولكنه قال بعد عودتنا لقد قرب الكتاب أن يتم

فاقرأ فيه ساعة كل يوم واذهب إلى غرفتك خذ راحتك، وهذا هو كل ما تغيَّر في نظامنا فقط وبقينا حتى يوم ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٢ عدت إلى بلدتي لأعود من هناك إلى مصر بعائلتي وفعلا كنت بمصر يوم ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٢ وجاء سعادته في اليوم نفسه من الإسكندرية يصحبه الأستاذ عبد الوهاب.

وفي صباح يوم ٢٢ أغسطس تقابلنا وعدنا إلى نظامنا الذي كنا عليه بمصر قبل هذه الدفعة وكان مجيئه على أن نعود إلى الإسكندرية يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٢ ولكن حالت بيننا وبين هذه النية أسبابٌ عديدة منها تحسن صحته بمصر ومنها أن نجله حسينا كان قد عاد من أوروبا إلى القاهرة حيث انتهت أجازته ويود أن يبقى معه بعد غيابه أكثر من شهر وأنه يخشى البرد بالإسكندرية ولكنه كان في كل صباح وأول دخوله المكتب بطلب تليفون الإسكندرية ويسأل عن العائلة ثم يأخذ ثلثي الحديث في السؤال عن صحة حفيديه الصغار أحمد شوقي وليلى العلايلي.

وكنا كثيراً ما نذهب إلى منزل الأستاذ عبد الوهاب قبل الظهر وبعد الغروب في طريقنا للرياضة. وكثيراً ما كانت نذهب ساعة ما بين السابعة الثامنة مساء في مقابلة الزائرين بمكتب الدائرة.

وفي يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٩٣٢ الساعة ٧ مساءً جاءه زائرُ وأخذ يسأله عن صحته ثم انتقل الحديث إلى الأزمة ومن ثم قال لقد خفضت مرتبات خدمي إلى ٤٠% على دفعتين فاعتدل البك في مقعده قائلا وهل قبلوا الخدم؟ قال نعم أكثرهم وهم الذين يعرفون ما هي الحال أما الباقون

فقد رفضوا وخرجوا وكان خروجهم من مصلحتي أكثر لأني حملت أعمالهم على الباقين وبعد أن خرج هذا الزائر قال لي البك أسمعت؟ قلت نعم قال وما رأيك؟ قلت عند صاحبنا الحق لِمَ لا يشاركنا الخدم في الأزمة فقال إذن عليك أن تعمل قلت نعم وبعد ثلاثة أيام كان صرف المرتبات وجاء أحد الخدم فانتقلت معه إلى حجرة ثانية مواجهة للحجرة التي يجلس فيها مولاي وصرفت له مرتبه وقبل أن ينصرف قلت له ابتداءً من الشهر القابل سيخصم من مرتبك ٢٥٪ لأن الوقت أزمة وأكثر الدوائر سبقتنا في ذلك وبأكثر مما قدرنا فقال الخادم كيف يكون ذلك ومرتبي لا يفيض عن حاجتي الضرورية وحاجة والديّ لأني أرسل لهم في وادي العرب ثلثي مرتبي كل شهر فناداني البك وقال لي اصرف هذا الآن وعد فنفذت على أن يعود لي الخادم في اليوم التالي أناقشه وأقنعه وعدت لسيدي فقال لي ما مرتب هذا الرجل قلت ثلاثة جنيهات.

قال كذلك كان هذا مرتب وظيفته في سنة ١٩١٣ هل تغير في سنة ٢٠ وسنة ١٩٢١ قلت لم يتغير قال ما أظلمك كيف تريد أن يكونوا معنا في الضراء ولا نكون معهم في السراء اتركهم هؤلاء هم طبقة البرّ ألم تسمع قول هذا أني أرسل لوالديّ في وادي العرب.. "رواية عن النوبيين" هؤلاء قوم لو بدلوا بالأمية علماً لكانوا أكبرَ الأمم فضيلةً وبرا.. ألم تر أنهم تهون على مفلسهم وليمته بمعاونة إخوانه وأنهم لا يخذل بينهم معدم منهم، ومع كل سأقص عليك حديثاً قديماً لا زلت أذكره وأعجب به قبل نشوب الحرب بعامين تقريباً كنت ساكناً بالمطرية، وكان في المنزل اثنان من هؤلاء السمر وفي ذات يوم أخذا يتحاوران ثم انقلب حوارهما إلى تماسك

وتضارب وعبثا حاولت الدادة التركية[1] أن تصلح بينهما وأخذت شهراً تدعوهم إلى ذلك بغير جدوى وفي صباح يوم قابلني أحدهم كئيباً يطلب مرتبه في شهرٍ سلفاً فقلت له لمَ؟ فبكي وقال لأساعد فلانا «خصمه» لأنه سيسافر اليوم حيث ورد إليه جواب يخبره بسقوط ولده الوحيد من أعلى النخلة وأن حالته لا يرجى منها خير. «فانظر إلى العطف وانظر إلى البر والحنان بينهما» هذا هو سبيل السلم لأن الإسراف والمغالاة في الخصومة ينتجان التفرق وليس بعد التفرق إلا الضعف والانحلال وهما أصل الذلة والمهانة ثم تقدم خطوات لناحية السيارة وأخذ يتمتم بكلمات لم أسمع منها إلا هكذا يا ليت قومي يعلمون ويعملون

ثم ذهبنا إلى الكونتنتال وأخذ قهوة باللبن «كافيه أوليه» وعدنا إلى قراءة النسفي وفي التاسعة اتجهنا إلى منزل اسماعيل بك شرين كعادتنا فقال لي ونحن في طريقنا: "بمناسبة ما كنا فيه من ساعة عن «السُمر» وأستطيع أن أخبرك كيف عرفت أخلاق هؤلاء.. كنت أرغب دائما أن لا أغضب وأن لا أحمل نفسي من النكد ما يحرق دمي ككثير من الناس وكنت إذا غضبت أمتنع عن ابداء حكم أو رأي وقت الغضب وأوصيك بهذا لأن الغضب لا يأتي بشي إلا ملحوقاً بالندم. لذلك كتبت عندما أرى أو أسمع شيئاً يغضبني.

أسرعت بالخلاص منه والبعد عن سببه بأن أترك مجلسي وأسير على قدمي فأرى وأسمع في طريقي من الطبقات المختلفة والمناظر المضحكة ما

---

(1) كان بالمنزل مربيه تركية عجوز في أواخر العقد الثامن ولكنها كانت نشطة وهي التي كانت تقوم بحركة العمل المنزل وترتيب أحوال الخدم وكانوا يخشون بأسها.

يذهب غضبي أو كنت أركب الترام فأسمع بعض المناقشات من العمال أو من طبقة السمر أحياناً الخ وكانت هذه الخطة ذات فوائد عديدة منها أنني أرحت دمي وصحتي وأنقذت نفسي ومحدثي من الخطأ، وكنت أخرج من رياضتي بعد ذلك بدرس عظيم عن الطبقة التي صادفتني وبعض الفكاهات الساذجة التي تعجبني سواء كنت سائراً على قدمي أو راكباً بالترام، وبعد أن يهدأ دمي أعرض على نفسي ما خالجها وثبطت الغضب فأرى فرقاً كبيراً بينه وبين رأيي بعد الهدوء: الغرض من قولي أني برغبتي هذه ألممت بدراسة أخلاق كثير من الطبقات المختلفة المشارب المتباينة الميول والأذواق: وكنا في هذا الوقت أمام منزل شرين بك فدخلناه وفي الساعة □□ □/□ خرجنا وافترقنا بميدان عابدين على أن ذهب سعادته للجيزة مباشرة وأذهب لمنزلي وبقينا على هذا النظام أياما لم يتغير إلا ابتداءً من يوم ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٢ إذ أخذ يبكر في الحضور إلى المكتب صباحا فيكون موجوداً الساعة ١٠ تماما ويطلب الإسكندرية تليفونياً ويأخذ قهوته بالمكتب ويطلع على البوستة ونبدأ في قراءة إظهار الحق إلى الساعة ١٢ نذهب إلى الكونتنتال فيأخذ قهوة ثانية ونقرأ جرائد الصباح ثم نقوم من هناك إلى الرياضة وربما عرجنا على منزل الأستاذ عبد الوهاب فقضينا نصف ساعة، وكان كثيراً ما يدعوه للغداء فيخرج معنا فنذهب إلى «لاباس» مباشرة فنأخذ ما يلزم وكان أهم ما يلزمنا هناك المانجو ونذهب إلى المنزل وتبدأ مائدة الغداء الساعة الواحدة والنصف بدلاً من الساعة الثانية.

وبعد ذلك نخرج للفرندة الشرقية ويجلس معنا الأستاذ عبد الوهاب

قليلاً ثم يخرج ونبقى نقرأ في تاريخ الحسين للمرحوم علي بك جلال، وكان كثيراً ما يظهر عليه التأثر فيضع الكتاب لحظة ويرجع إليه، وفي الساعة الخامسة نخرج إلى المكتب فيأخذ القهوة هناك ومن ثم نقوم إلى مصر الجديدة للرياضة إلخ.

وفي بعض الأحايين كان في هذه الرياضة يقول لي هيا بنا لنرى الأستاذ عبد الوهاب ونراك في المناقشة يريد أننا كنا في مرةٍ وجدنا بعض الزائرين في منزل الأستاذ وأخذوا يتكلمون عن الدين فلم ترق لي آراؤهم فاشتبكت معهم في مناقشة ارتفع فيها صوتي حين ذكرت لهم الحجج القوية وخرجنا فقال لي: "لم أرك قويا في شيء قوتك اليوم في المناقشة وكذلك لم أسألك شيئاً وكنت حاضر الذهن فيه حضورك اليوم في مناقشتك وحفظك لكثير من الحجج" ومن هذا اليوم كان يحب أن نجد هؤلاء القوم في منزل الأستاذ كلما زرناه ليسمع مناقشتنا وكثيراً ما كان يفتحها هو ثم يتركنا.

وفي ذات ليلة حضرنا هناك أديب معروف وأخذ يتكلم ببعض الفكاهات إلى أن انتقل إلى شبه زجل لم أطق أن أسمعه لاستهتاره فيه بكثير من الرسل فخرجت غاضباً ووقفت أمام المنزل حتى خرج الفقيد بعدي بقليل وقال "أنت مخطئ لم تسرع أما تعرف أنك لو بقيت ووفقت لإقناع هذا بالعدول عما هو فيه كنت عند الله ذا حظ عظيم".

ولنرجع إلى ما كنا فيه فإننا كنا إذا كنا عدنا من رياضتنا عدنا إلى نظامنا المتبع في القراءة والكتابة وفي الطعام إلخ..

وظللنا كذلك إلى يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٢ قال لي ونحن في

طريقنا إلى الرياضة في الغروب أنا مسرور بعودة العائلة غدا وفي مثل هذه الساعة غدا يكون بجانبي مادة ولو لوت "يريد حفيديه أحمد شوقي وليلى العلايلي" وفي اليوم التالي كنا في المحطة قبل وصول القطار بنصف ساعة ننتظر ولم يرض إلا أن يكون حفيداه بسيارته ليوصلهما بنفسه للجيزة واستمر النظام أيضاً لم يزد إلا أنه قبل خروجه في الصباح يمر على كريمته ويقبل حفيدته ثم إلى منزل نجله فيقبل حفيده وكلا المنزلين بجوار منزله وبعد الغداء يطلب الطفلين بجواره فيداعبهما وإذا كان قد أحضر لهما شيئاً من التحف قدمه إليهما على شرط أن يقبل كلا منهما عشراً وأن يقبلوه هم كذلك وبقى كذلك إلى يوم الجمعة ٧ أكتوبر سنة **٩٣٢** بقيت بمنزلي لانحراف صحتي فجاء في الصباح يسأل عني ولما علم بمرضى طلب إلى أن أرسل ولدي سامي وأنور ليراهما وليقضيا يومهما في الهواء الطلق بالجيزة مع حفيده وفعلا كان ما أشار وفي غروب اليوم نفسه عاد بهما إلى المنزل وسأل عن صحتي

وفي يوم السبت ٨ أكتوبر **٩٣٢** جاء في الساعة الخامسة بعد الظهر يسأل عن صحتي فنزلت قابلته وقلت له الحمد لله إني أشعر اليوم بتحسن فقال ألم تعرف ما رأيته أمس؟ قلت خيراً قال انتابني برد أضاع عليّ ساعات كثيرة من نومي ليلة أمس وضايقني: وفعلا لاحظت على وجهه شحوبا لم أره يوم الجمعة حين زارني فآثرت أن أركب معه لما علمت هذا فقال لا: "ارجع إلى فراشك أنت لازلت ضعيفاً" فألححت وركبت معه فقال ألم يقص عليك سامي حديثنا أمس في السيارة قلت نعم فقال كان خفيفاً وأخاه كذلك... أولادك أذكياء جداً وسيكون لهم مستقبل باهر فمر

بي خاطر تنهدت على أثره بغير ما أشعر، ولكنه لاحظ ذلك وقال لي ماذا؟ فاضطربت فقال ما سبب تنهدك قلت ذكاء أولادي وما يتطلبه هذا الذكاء فقال وأين إيمانك الذي حدثتني عنه ومع كل فأنا كنت أمس أفكر فيما تفكر وإني منتظر عودة حامد بك من زراعته فنفكر فيما يضمن لك راحة تربيتهم في المستقبل:

ولما كان أثر البرد لا زال باقياً أخذ يكح وابتدأ يشكو لي من ضعف في الشهية وفي يوم ١٠ أكتوبر سنة ٩٣١ كانت بالمنزل حفلة شاي لحضرات أعضاء جمعية أبولو فأخذ الشاي فيها وتكلم معهم كأنه لم يكن عنده شيء وخرج يقول الحمد لله عوضني الله عن الغداء بالشاي واللبن.

وفي يوم ١١ أكتوبر سنة ٩٣٢ عند عودتنا في الظهر من زيارة الأستاذ عبد الوهاب لاحظت أن الأستاذ العقاد سائراً بجوار البوستة فقلت له فقال كيف ترى صحته قلت أراه ضعيف عما كان من شهرين فقال عافانا الله وعافاه.

وفي يوم ١٢ أكتوبر سنة ٩٣٢ قمنا الساعة ١٢ من الكونتنتال إلى منزل الأستاذ عبد الوهاب عن طريق شارع فاروق فقال لي: حالتي غريبة في هذا الأسبوع وقد أصبحت في حالتي الصحية هذه وليس أحسن حالة لي من الموت ففيه الراحة ولم يخفني منه الآن إلا خوفي من انزعاج أولادي.

ثم نظر إلي وقال لقد أوصيت الجميع عليك كثيراً فكن مطمئن ثم قال إلا حاجة سأقولها لعلي[1] اليوم وتأثر في الحال فاغرورقت عيناه بالدموع

---

(1) نجله الأكبر.

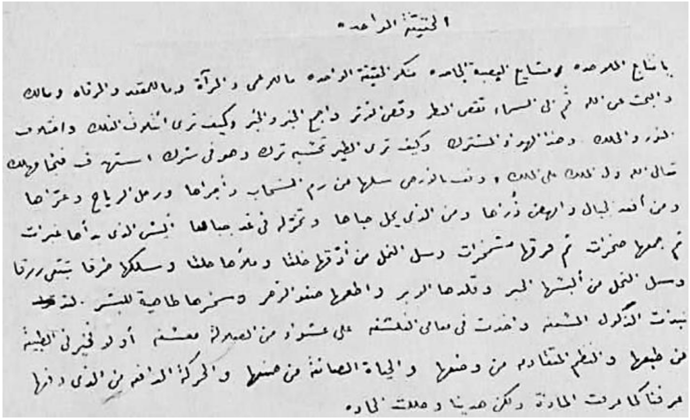
فأردت أن أنقذه من هذا التأثر وعجلت بحديث آخر إلى أن ذهب التأثر، وكنا أمام منزل الأستاذ عبد الوهاب فأخذناه معنا وعدنا إلى الجيزة حتى إذا كنا أمام كرمة بن هاني أشار إلى الأستاذ عبد الوهاب على قطعة أرض بجوار الكرمة قائلا أترى هذه القطعة قال الأستاذ نعم قال كنت فيما مضى عزمت على مشتراها لكي أضمها إلى المنزل ولكن المرض يأتي بالفلسفة ثم التفت إلى وقال إلى كم قبر ينقسم منزلنا هذا؟ فقلت لم هذا يا سيدي؟ فابتسم وقال ألم تكن مساحة القبر من ثمانية أمتار إلى عشرة على الأكثر قلت نعم قال وكم متراً مساحة المنزل وما حوله قلت حول الخمسة آلاف متر قال أي ينقسم إلى خمسمائة قبر أليس كذلك؟ قلت نعم قال انظر إلى الإنسان ما أكثر طمعه في الحياة: وفي مساء اليوم نفسه قابل نجله الأكبر بمكتب الدائرة وقال له إن عشت قمت بحجة فلان "يريدني" وأن كان غير ذلك فقم أنت عني: ثم التفت إلى مبتسما وقال ها هي الحاجة فلا تنس الفاتحة لي بأرض الحجاز.

أحمد محمد خليل كوشة..
الخادم الخصوصي لأمير الشعراء

وفي يوم ١٣ أكتوبر سنة ١٩٣٢ جاء المكتب كعادته صباحاً وقال الحمد لله أراني اليوم أحسن من ذي قبل، واتبعنا نظامنا في القراءة والسير حتى جاء الظهر فاستأذنته وذهبت لمنزلي وعاد في الساعة الخامسة للمكتب فألفيته فرحاً ضاحكا وقال لي: "الحمد لله اليوم أكلت في الغداء بشهية كما كنت قبل المرض". وأخذت أتلو له في القرآن سورة الجمعة بتفسير النسقي حتى انتهينا منها خرجنا للرياضة بمصر الجديدة ثم عدنا للمكتب في الساعة ٧ ونصف فقال: "اقرأ في النسقي" فقرأنا حتى إذا كانت الساعة التاسعة قلت له: "نحن في ميعاد العشاء" قال: "ليكن أنا أكلت في الغداء كثيراً فنتأخر نصف ساعة اليوم حتى يهضم الأكل تماماً". وفي التاسعة والنصف قمنا إلى مطعم سلستينو فأخذ شوربة خفيفة ومن ثم إلى منزل صديقه إسماعيل بك شرين فلم نجده فعدنا إلى جريدة الجهاد وقال لي في الطريق: "أول شيء تذكرني به غدا كتاب شكر لجلالة ملك اليمن على هديته" "إذ أهداه أربعين زمبيلا من البن" فلبيت وكان طول يومه وليلته مبتسما نشطا بخلاف العادة فرحا بعودة شهية الطعام إليه وإذ كنا أمام الجهاد دخلنا حجرة بجوار مكتب الأستاذ توفيق دياب، وجلست معه قليلا، وفي الساعة العاشرة والنصف قال لي: "خذ السيارة توصلك وأنا سأقوم بمجرد عودة السيارة إلي".

وفي الساعة ٣ وجدت أخي يوقظني قائلا السائق يطلبك للجيزة فخرجت مهرولا وحسست أن هناك أمراً عظيما حيث الطلب في هذه الساعة.

ولما ركبت بجانب السائق قال لي "توفي البك" فسكت غير أني كل دقيقة أرجع إلى نفسي سائلا هل أنا في يقظة أم في منام، وأتذكر أنه الليلة كان في أحسن حالة، وهكذا وصلت الجيزة بين مصدق ومكذب، وإذا بخادمه الخصوصي يقص علي ما يأتي.. جاء سيدي الساعة ١١ ورتبت له كل ما يريد كعادته وصعد إلى سريره، وقال لي: "اخرج أنت" فنزلت إلى غرفتي، وقبل الساعة الثانية بقليل تيقظت على صوت الجرس المتوالي فصعدت فقال لي: "عندي ضيق في النفس فأحضر ماءً ساخنا وورق كافور" فأحضرت ما طلب ولكنه قال لي: "لا فائدة انقطع الأمل سلم لي على الأستاذ عبد الوهاب، وسلم لي على أحمد أفندي وقل له أنا متشكر وأن يبلغ سلامي لجميع أصدقائي وهو يعرفهم" ثم قال لي: "أيقظ الهانم وولدي" ففعلت ما أمر، ولكنهم عندما وصلوا كان صامتاً فأرسلوا في طلب الدكتور جلاد، وجاء حالا، ولكن الروح كانت صعدت إلى بارئها.



الحقيقة الواحدة

يا شاعر الوحدة [illegible] الحقيقة الواحدة ما الدرهم والمرآة وما العقد [illegible]
[illegible] ثم إلى السماء [illegible] وكيف ترى [illegible]
[illegible] وكيف ترى الطير [illegible] وهو في سربه [illegible]
[illegible] من السحاب [illegible] ومن الرياح [illegible]
ومن [illegible] الجبال [illegible] ومن الذي [illegible]
ثم جمعها صخرات ثم فرقها متشجرات وسل النحل من أذاقها حلوها ومرها [illegible]
وسل النحل من أين الشهد [illegible] وسرها طاقية للبشر [illegible]
[illegible]
[illegible]
من [illegible] والحياة الصافية من [illegible] والحركة الدائمة من الذي [illegible]
[illegible]

بخط الفقيد "من أسواق الذهب"



أمير الشعراء في شبابه



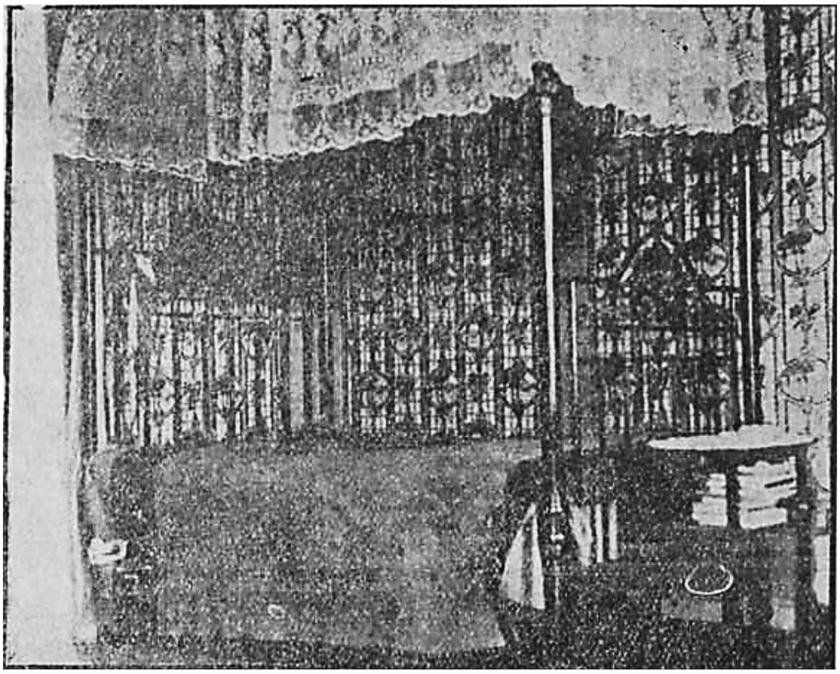


أمير الشعراء في سنة ١٩٢٥

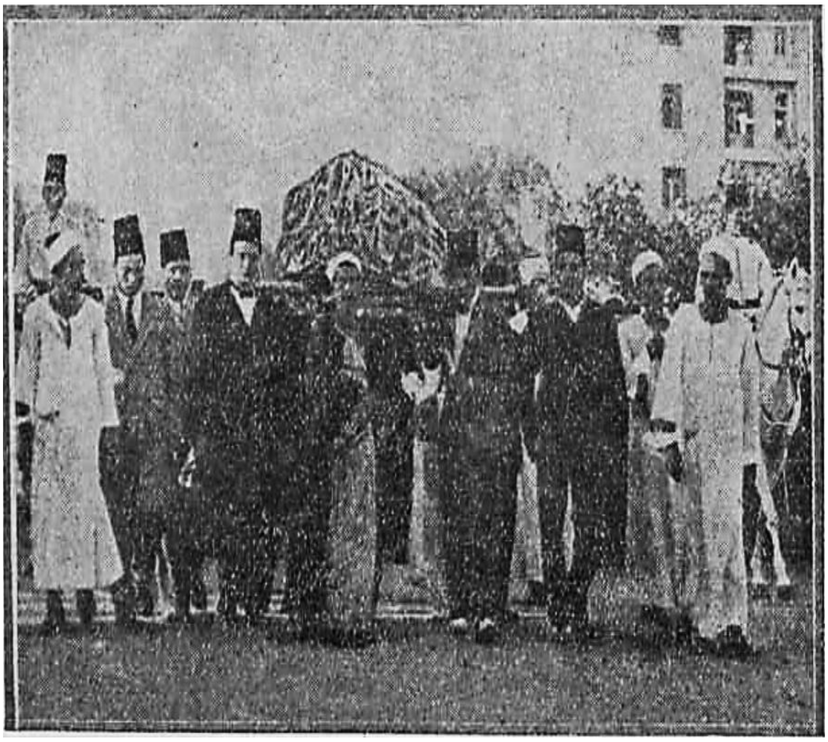
أمير الشعراء سنة١٩٣٢

من شعر شوقي

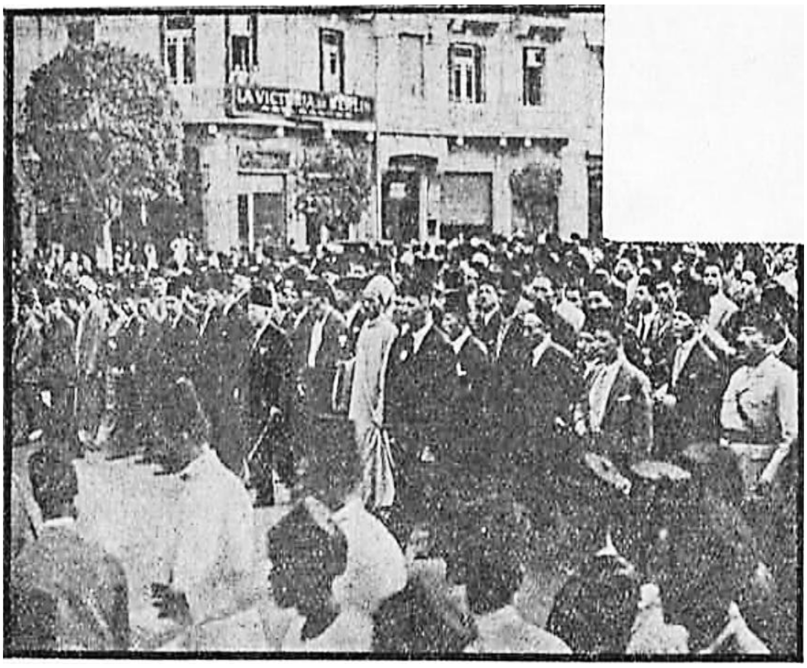
رب إن شـــئت فالفضـــاء مضـــيق	وإذا شـــئت فالمضـــيق فضـــاء
واســـــــــتقيموا يفـــــــتح الله	لكـــــــــــم باباً فبـــــــــاباً
وإنمــا الامـــم الأخـــلاق مــا بقيــت	فــإن همــو ذهبــت أخلاقهــم ذهبــوا
تـــدول أحاديـــث الرجـــال تنقضـــي	ويبقــى حــديث الفضــل والحســنات
مـــا أصـــعب الفعـــل لمـــن أمـــن	وأســـهتل القـــول علـــى مـــن أراد
فـــإن الســـعادة غـــير الظهـــو	ر وغـــير الثـــراء وغـــير الـــترف
ولـــيس بالفاضـــل في نفســـه	مـــن ينكـــر الفضـــل علـــى ربـــه
أعلمـت أشـرف أو أجـل مـن الـذي	يبـــني وينيشـــئ أنفـــاً وعقـــولاً



غرفة النوم التي توفى فيها أمير الشعراء



أعضاء جمعيتي رابطة الأدب الجديد وأبلو يحملون نعش أمير الشعراء



صورة الجنازة (عن البلاغ في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٢)

شوقي بك .. وتشييع جنازته

في غمرة من الأسى والدموع شيعت مصر أمير الشعراء إلى مقر الأبدية. فما انتصفت الساعة الخامسة من مساء أمس حتى غص السرادق الفسيح الذي أقيم في ناحية من ميدان الإسماعيلية أمام قصر النيل بالكبراء والوجهاء وفحول الأدب ورجال الصحافة وطلاب العلم. ثم وصل جثمان الفقيد على سيارة فانتظم الموكب تتقدمه طلبة المدارس في صفين على جانبي الطريق تتوسطهم الأعلام وقد ارتسمت عليها أمارات الحداد. وتبع الطلبة جنود البوليس الراكب فزملاؤهم المشاة فنعش الفقيد محمولاً على أعناق أعضاء من جمعيتي "أبولو" ورابطة الأدب الجديد فطلاب الجامعتين المصرية والأمريكية.

وسار خلف النعش صاحب العزة محمود السيوفي بك مندوباً من قبل جلالة الملك فأسرة الفقيد: نجلاه الكريمان، وصهره صاحب العزة حامد العلايلي بك فمعالي وزير المعارف ووكيله وأصحاب السعادة حمد الباسل باشا وكيل الوفد المصري، محمود صدقي باشا محافظ القاهرة، مصطفى فتحي باشا، مختار حجازي باشا، سلامة ميخائيل بك عضو الوفد المصري، عبد الخالق مدكور باشا، إسماعيل شرين بك، الأستاذ مُحَمَّد توفيق دياب، مُحَمَّد شعير بك، الأستاذ عبد القادر حمزة، الدكتور طه حسين، الأستاذ التفتازاني، فأسرتا جريدتي الجهاد والبلاغ، فجمع من الصحفيين والشعراء والأدباء فأعضاء الجمعيات العلمية والخيرية، فمجلس إدارة

جمعية القرش. فكثير من أساتذة الجامعة والمدارس الثانوية فالطلاب والتجار والأعيان والعمال.

واجتاز موكب الجنازة شارع قصر النيل بين صفين من جموع الشعب المحتشدة وتضاعف عدد المشيعين في أثناء الطريق بانضمام هذه الجموع إليه. وكان المصورون السينمائيون وغيرهم وقد تخللوا هذا الشارع فأخذوا في التقاط منظر المشهد الحامل الذي تمثل فيه حزن مصر وحزن العالم العربي بل حزن الشر جميعاً.

ثم وصل الموكب قبالة جامع الكخيا بقرب ميدان الأوبرا فأدخل جثمان الفقيد إلى المسجد حيث أديت صلاة الجنازة في جمع كبير من المصلين بينما كان نجلا الفقيد وصهره يتقبلون عزاء بعض المشيعين شاكرين سعيهم. ولما جيء بالجثمان محمولاً على أكتاف أعضاء من جمعيتي "أبولو" ورابطة الأدب الجديد التف بالنعش طلاب الجامعة المصرية وكثير من الشباب وأخذوا يهتفون بأصوات عالية ممزوجة بالألم "في ذمة الله يا أمير الشعراء" فردد المشيعون هتافهم طويلا. وتقدم بعضهم لحمل الجثمان في نعشه ليودعه سيارة كبيرة كانت قد أعدت لحمله إلى مدفن الأسرة في حي السيدة نفيسة ولكن الطلاب أبوا عليهم هذا قائلين "نحن أولى برفع أمير الشعراء من غيرنا".

ورغب كثير من الطلبة في أن يحملوا نعش الفقيد على أكتافهم من المسجد إلى المدفن وتشددوا في هذا كثيراً فتدخل البعض شاكراً لهم هذه الغيرة ومعتذراً بضيق الوقت وبعد المسافة. ثم أودع النعش السيارة فسارت

به إلى المدفن يتبعها عدد كثير من السيارات.

وكانت جموع من الشعب قد حسبت أن موكب الجنازة سيواصل طريقة إلى المدفن سيراً على الأقدام فوقفت على جانبي الشوارع المؤدية إليه فلما مرت السيارة تردد الهتاف بذكرى "شاعر الخلود".

وكذلك كان كثير من الشعب قد سبق إلى مدفن أسرة الفقيد لانتظار جثمانه هناك فلما وصلت السيارة ملئ الجو بالهتاف لذكرى أمير الشعراء. وتقدم فريق من طلبة الجامعة المصرية وبعض الرياضيين يتقدمهم البطل المعروف سيد نصير فحملوا النعش إلى مقر اللحد فدبت لوعة الأسى في قلوب الحاضرين وكأنهم لم يعلموا إلى هذه اللحظة أن مصر فقدت أمير بيانها وشعرها فما أن شهدوا الجثمان محمولاً إلى مقره الأخير حتى علت الأصوات بكاءً ونحيباً تتخللها عبرات كاد يحبسها الحزن لولا أن دفعت بها حرارة الألم.

وفيما كان العمال يودعون الفقيد لحده وبينما جموع الشعب تتنفس تحسراً وألماً علا صوت أديب فاضت عيناه بالدموع "إلى أين يا أبا الشعر والحكمة" فحركت هذه الكلمة ساكن الأحزان مرة أخرى وطفقنا نسمع أنيناً وتوجعاً حتى وجدنا أنفسنا في مناحة استفحل فيها الخطب وعز فيها العزاء.

وانتهى "الملقن" من مهمته وجاء دور المراثي، وكانت الشمس قد غربت منذ حين فاستعين على ظلمة الليل بمصابيح الغاز.

بعض ما قيل على القبر

خطبة الدكتور العناني

الدوام لله وحده، وكل نفس ذائقة الموت، وإن إلى ربك الرجعى وفي جواره خلود الطاهرين. مات شوقي ولا نعلم رزءًا مثل رزئنا فيه، ولا حزنا كحزننا عليه. مات شوقي فصعدت روحه السامية إلى علم السعادة المحضة والخلود، ووارينا جثمانه في باطن هذا الثرى يتجاذبنا ألم لا حد لقسوته بمواراة رفاته، وشملتنا غبطة بصعود روحه إلى جوار ربه في عالم الخلد السعيد.

مات شوقي فأصبح للإنسانية كهرميروسوهوراس وكتاليس وديكارات، ولكن هؤلاء جميعاً يذكر كل واحد منهم بانه قد ابتدأ عصراً في الأدب أو الحكمة. وشوقي ابتدأ بحياته الشعرية عصراً زاهراً في تاريخ الأدب العربي. وابتدأ بنهايته في هذا اليوم وفي تلك اللحظة القاسية عصراً أدبياً آخر مشيعاً بروحه الصافية وخياله الشعري وإلهامه الحكيم سيرويه التاريخ الأدبي، وإنا قد تلقيناه تراثاً خالداً ثميناً من شوقي العظيم تحافظ عليه وتنميه جمعية (أبولو) أو أسرة الشعر الحي وجميع الهيئات الأدبية في العالم العربي وفي طليعتها رابطة الأدب الجديد وفروعها في الشرق.

نعم مات شوقي، ففي ذمة الله أيها الرجل العظيم، وفي وديعته يا رب الشعر الحي ويا زعيم النهضة الأدبية ورئيس جمعية (أبولو) وركن رابطة الأدب الجديد. اللهم ألهمنا فيه الصبر، ووفقنا لخدمة ما تركه لنا من تراث

خالد ثمين في الأدب والحكمة. وعظم الله أجركم. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

خطبة الأستاذ السيد التفتازاني

ووقف بعده الأستاذ السيد مُحَّد التفتازاني، وبكى أمير الشعراء مرتجلا؛ فذكر أنه كان جيلا فانطوى، وإنه لم يكن شاعراً فحسب وإنما كان آية الله في عالمه نبوغا وعبقرية وروحا بعثت معاني الحياة والخلود لكل الناطقتين بالضاد، وهو لهذا مجمع مفاخر أمة العرب بل المسلمين جميعا.

ثم قال: كان شوقي حسيبا على رسول الله ﷺ وعترته الطيبة الطاهرة إذ لا يخلو شعره الخالد من نفحة من نفحات رسول الله ﷺ ومن الإشادة بذكرى آله وعترته، فقد شاطرهم في نهج البردة مصابهم الخالد وصورهم في مجمل شعره بالصورة الطبيعية لهم، مباهيا بهم، مفاخرا بأرومتهم، مصورا مبلغ تضحياتهم في سبيل الإسلام والمسلمين، من هذه الناحية يعتبر أهل البيت في أنحاء الدنيا أنهم أصيبوا في الصميم بفقدان شوقي، فقد كان الفرد الجامع المكافح عنهم المتمسك بالعروة الوثقى في محبتهم. أما المسلمون فقد وجدوا في شعر سوقي سورا منيعا وقاهم في ظروف كثيرة عبث الهدامين.

وهاكم ديوان شوقي، بل هاكم سائر شعره، استذكروه لتروا مبلغ ما وفى به للإسلام كدين وللمسلمين كإخوان في الله. أما أبناء العربية جميعا، فسيعلمون مبلغ ما نكبهم به الدهر في هذا المصاب الصادع، حين تتجاوب أصداؤه في الشام والعراق واليمن وسائر أنحاء المغرب من طرابلس إلى أقصى مراكش، وسيعتبر كل من لامس ذوق شوقي في أدبه، وكل مقدر

لشخصيته الفذة في هذا الجيل إنه أصيب بفقدان شوقي في سويداء القلب.

أنزله الله منازل رحمته وحشره في عداد من أحبهم من الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين والعلماء العاملين. وحسن أولئك رفيقا".

عن الأهرام ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٢

عطف جلالة الملك

وقد تفضل جلالة الملك فأظهر عطفه الكريم على الفقيد وآله فأوفد حضرة صاحب العزة محمود السيوفي بك التشريفاتي في القصر الملكي لتشييع جنازة الفقيد.

اشتراك الوزارة

وقد أرسل دولة إسماعيل صدقي باشا رئيس الوزراء بمناسبة وجوده هو وزملائه في مرسى مطروح، إلى معالي الأستاذ حلمي عيسى باشا وزير المعارف التلغراف الآتي:أرجو أن تنوبوا عني وعن زملائنا الوزراء في تشييع جنازة المرحوم شوقي بك الشاعر.

إسماعيل صدقي

وزارة المعارف والفقيد

علمنا أن معالي الأستاذ مُحَمَّد حلمي عيسى باشا وزير المعارف عني في اليومين الماضيين بالتفكير في تخليد ذكرى أمير الشعراء وفقيد اللغة العربية المغفور له أحمد شوقي بك وتسجيل اسمه في معاهد العلم والأدب والعناية بآثاره الأدبية التي أصبحت تراثاً خالداً وذخرا نافعاً للغة وآدابها وقد استقر

رأي معالي الوزير في ذلك على ما يأتي:

حفلة تأبين رسمية

رأى معالي الوزير أن من حق شوقي على الأمة أن تحتفل بتأبينه احتفالا يليق بمكانته السامية؛ فقرر أن تنوب وزارة المعارف عن الهيئات في الدعوة إلى حفلة تأبين كبرى يشترك فيها كبار الأدباء والشعراء والكتاب ورجال القلم والعلماء والمفكرين، وسيؤلف معاليه لجنة لإعداد الترتيبات الخاصة بهذه الحفلة.



لجنة وزارة المعارف لتأبين أمير الشعراء

روايات شوقي بك

كان الفقيد قد اشترك في مباراة التأليف المسرحي، وقدم للجنة التحكيم ثلاث روايات له، وقد رأت وزارة المعارف تكريماً للفقيد وإعظاما لأمره أن تعتبر هذه الروايات فوق المباراة. وقد علمنا أن معالي الوزير رأى بالاتفاق مع الجامعة أن تخصص جوائز للمتفوقين في الأدب العربي من طلاب كلية الآداب وغيرها لحث الطلبة على احتذاء مثل شوقي واقتفاء أثره في الأدب العربي.

كما علمنا أن في النية طبع الكتاب القيم الذي رفعه الفقيد إلى جلالة الملك في حفلة افتتاح الجامعة بواسطة معالي وزير المعارف، وهو مؤلف خاص بالدول العربية وآثارها والإسلام ومجده، وينتظم عدداً كبيراً من القصائد الممتعة التي تتغنى بمفاخر الإسلام وشعائره. وسيوزع هذا الكتاب بعد طبعه على طلاب المدارس للاستفادة منه والتأدب بآدابه الكريمة.

قنصل العراق في موكب التشييع

ذكرنا أمس أنه كان في مقدمة المشيعين لجنازة أمير الشعراء حضرة أحمد قدري بك قنصل العراق العام في مصر، ونزيد على ذلك أنه قد أبلغ أسرة الفقيد تعزية حكومة العراق، كما أبلغ ذلك لوزير المعارف المصرية.

نبذ من أقوال بعض الصحف العربية والافرنجية

من افتتاحية "الجهاد" بقلم الأستاذ مُحَّد توفيق دياب : في منتصف الساعة الرابعة من صباح أمس، (الجمعة ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٥١ هجرية الموافق ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ميلادية) أو قبل هذه الساعة بدقائق استأثر الله بأمير الشعراء.

وفي هذه الساعة عادت إلى بارئها تلك الروح العبقرية التي أرقصت قلوب الأمم العربية جيلين من الزمان بفنون من الشعر أو نفثات من السحر لا تجود الفطرة بمثلها على أصحاب المواهب إلا في قليل من العصور.

مات شوقي فليبكه الفتيان والشيوخ ولتبكه الأوانس والسيدات في مصر وفي أخواتها العربيات، فقد كان شعره قطعاً موسيقية بارعة من وحي العبقرية يتغنى بها أبناء هذه اللغة العزيزة وبناتها في كل حين وفي كل مكان.

ذهب شوقي فانقضى بذهابه عهد الفحول من الشعراء الذين أحيوا في عصرنا الحديث مجد الأقدمين.

مات الذي أورث العربية مجداً طارفاً على مجد تالد، وزادها فيضاً خالداً على فيض خالد. وهذا ديوانه الفخم في مجلدين يملآن النفوس إكباراً والقلوب بهجة بما يحتويان من بدائع القول الخالد وأشتات المعاني الرائعة وأفانين الأسلوب الممتنع إلا على أمراء الصياغة المطبوعين.

وهذهروراياته المسرحية الأخيرة يكفي بعضها برهاناً مبيناً على العظمة الباقية على وجه الزمان.

لقد مات أمير الشعراء غير منازع. لقد مات شوقي. فليبكه المصريون، وليبكه العرب في كل بلد عربي أو يقطنه عربي، وليبكه المسلمون في أنحاء المعمورة، فقد كان شوقي شاعر العربية وشاعر الإسلام، وكان أثمن درة في تاج الأدب، وقد انتزعت هذه الدرة في منتصف الساعة الرابعة من صباح اليوم!

إلى عالم الخلود. إلى جوار حافظ. لقد رثيته فكان مطلع مرثيتك:-

قــد كنــت أوثــر أن تقــول رثائــي ... يا منصــف المــوتى مــن الأحيــاء

والآن تتنعمان باللقاء ولم يطل الفراق!

إلى عالم الخلد يا أمير البيان، تشيعك الأكباد الحرى والدموع الجارية والقلوب التي مهما خفقت بعرفان أياديك على أبناء العربية في مدى جيلين من الزمان، فلن تؤدي لك ما أنت أهله أيها الراحل العزيز، أيها العظيم الخالد، من الشكر والحمد والثناء. رحمة الله عليك يا شوقي ورضوانه وبركاته الطيبات

من افتتاحية البلاغ يوم ١٤ أكتوبر.. بقلم حضرة الأستاذ عبد القادر حمزة

لم يكن شوقي شاعراً وكفى، بل كان مجداً لمصر في عصره كله. وعصره هذا يمتد من أخريات عهد إسماعيل باشا إلى اليوم، فهو يبسط جناحيه على نصف قرن كامل تقلبت فيه على الشعر والأدب أطوار، منها اللين

ومنها العنيف، فما وفي شوقي في واحد منها، ولا كان إلا السابق فيها جميعاً، حتى إذا عقدت له رياسة الشعر بعد ذلك لم تكن هذه الرياسة مرتبة يرفع إليها بل كانت شهادة بالمرتبة التي وصل إليها. ولم تقف هذه الرياسة عند حدود مصر بل تجاوزتها إلى كل بلد، فصارت رياسته بذلك رياسة لمصر وصار مجده مجداً لمصر. وقد تبحث في تاريخ الأدب العربي كله فلا تجد لوطننا من الرياسات فيه إلا القليل النادر، وقد تكون رياسة شوقي أكثرها كلها إجماعاً وأشدها بروزاً.

إلى أن قال: أما نسيبه في ذلك العهد(1) فهو مما يمتزج بالقلب ويجرى مجرى الأمثال. وتقلبت على مصر بعد ذلك أحداث، وأبعد شوقي إلى الأندلس ، ثم عاد فشرع يشق بالشعر طريقاً جديداً فوضع رواياته من ناحية وأغانيه من ناحية أخرى؛ ففتح في الأدب الحديث فتحين، وأثبت أن الشعر العربي يستطيع أن يحاكي الشعر الإفرنجي، وأن يكون على المسرح لسان العاطفة والتهذيب كما هو في القصائد لسان المدح والرثاء والنسيب. وبهذا ملأ شوقي كل جوانب الأدب، ووضع على رأسه تاجاً لم يضعه شاعر عربي قبله، وحق لمصر أن تفخر بأن ابنها هو الذي كسب هذا التاج.فهذا الجثمان الذي يحمله النعش اليوم هو جثمان رجل كان مجده الأدبي مدى خمسين عاماً مجداً لبلاده، ومجداً للغته، وسوف يبقى هذا المجد لا تزيده الأيام إلا علواً ولا تزيد معدنه إلا نصوعاً ما بقي شعر وأدب. وسوف تتدارس الأجيال المقبلة رواياته كما يتدارس أبناء أوروبا الآن روايات شكسبير وراسين وكورنيل، وسنذهب نحن ويذهب كل

(1) أي عهد نشأته

أصحاب الغنى والجاه فتطوينا الأيام جميعاً ويبقى شوقي علما يذكر به العصر الذي عاش فيه؛ فلينم شوقي هادئاً في قبره فقد أدى واجبه ومر في الدنيا كما لم يمر قائد ولا فاتح. وهذه الدمعة عليه دمعة آس لفراقه راث لفجيعة بلاده فيه. فرحمه الله وأسكنه الجنة وخفف مصابنا فيه.

عن المقطم

حم قضاء الله ونفذ قدره المقدور ولا راد لقضائه ولا معقب لأمره، ونزلت بلغة الضاد نازلة أخرى. وحلت بالأدب والشعر فاجعة كادت تتصل بالأولى، فنعى النعاة أمير شعراء مصر وأمام الناظمين في هذا العصر. **أحمد شوقي** فلا حول ولا قوة إلا بالله. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مات إذن شوقي وطوى علم إمارة الشعر الخافق. وتهدم طودها الشامخ وتقوض أساسها الراسخ وانطفأ سراجها المشرق وهوى كوكبها المتألق. وها هي أسلاك البرق وأسير الجو تحمل إلى بعيد الأقطار وقريبها نعيه فتضطرب محافل الآدب فيها ويستحوذ الذعر والجزع على ذويها.

مات شوقي المفرد العلم، والشاعر المطبوع، والناثر المجيد، والأديب المجلي، والمؤلف المسرحي الماهر. بعدما فتح في الشعر العربي فتحاً جديداً. فلم يقتصر فيه على ما وجده في شعر امرئ القيس وأبي فراس وأبي العلاء وأبي العتاهية والشافعي وأبي الطيب من الوصف والحكاية والتفاخر والموعظة والإرشاد بل أدخل فيه أحدث الأساليب وأجد المعاني فانكشف له سر النجاح وأحرز قصب السبق وتبوأ عرش الإمارة عن جدارة وطار شعره كل مطار وشاع في الأقطار والأمطار.

من افتتاحية الأهرام يوم ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٢

يقول اللاتين: "يصير الخطيب خطيباً ولكن الشاعر يولد شاعراً" وقد ولد شوقي شاعراً وظل شاعراً من مهده إلى لحده. كان شاعراً يوم دخلت به جدته على الخديوي إسماعيل وهو في الثالثة من عمره وكان بصره لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه فطلب الخديوي بدرة من الذهب ثم نثرها على البساط عند قدميه فوقع شوقي- كما روى في مقدمة ديوانه- على الذهب يشتغل بجمعه واللعب به. فقال الخديوي لجدته اصنعي معه مثل هذا فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض قالت: هذا دواء لا يخرج من صيدليتك يا مولاي. قال: جيئي به إلي متى شئت إني آخر من ينثر الذهب في مصر. وكان شوقي شاعراً وهو طالب في المدرسة وقد أخذت آلهته توحي إليه بالصور الجميلة والكلام الموزون الموسيقى. كان شوقي شاعراً وهو يطلب الحقوق والآداب في فرنسا وقد نظم في تلك الحقبة من القصائد ما كان يبشر بما سيصير إليه من الإمامة والأمارة في دولة القريض. وكان شاعراً وهو يمثل الحكومة المصرية في مؤتمر جنيف فنظم قصيدة غراء تضمنت ما وقع في وادي النيل من كبار الحوادث منذ فجر التاريخ.

إلى أن قال: وظل شوقي شاعرا، ففي الليلة التي تقدمت صباح منيته كانت إحدى المغنيات الشهيرة تنشد قصيدة من قصائده والجمهور يصفق طربا لروعة الشعر. وبعد وفاته ببضع ساعات كانت آخر قصيدة نظمها تلقى في حفلة الشباب القائم بمشروع القرش.

ولقد كان، رحمه الله، على ما نال من بسطة العيش وكبير الألقاب

وواسع الجاه وبعد الشهرة وديع النفس منخفض الجانب دمث الأخلاق. وكان عف اللسان والقلم لم ينطق هجراً ولم يكتب هجواً.

قال فيه المرحوم إسماعيل صبري باشا:

مرحبـــاً بالمقـــال سمحـــاً كريمـــاً لم يشـــــبه هجـــــواً ولا ايـــــذاء

مرحبـــاً بالبيـــان ســـحراً وبالشـــعر تحليـــــه حكمـــــة غـــــراء

عن كوكب الشرق

وجاء شوقي إلى هذه الدنيا وفي خاطره آمال يريد أن يزدهر بها غراس الشعر، فظل يعالج القريض وينظمه حتى أينع غراسه وأثمر، ولو لم يكن لشوقي سوى أنه كان سبباً في بقاء دولة الشعر إلى اليوم كفاه هذا مجداً وشرفا.

ولقد بعث شوقي لشعره خصوما أشداء، وهذه أولى مفاخر عظمته التي لا ننكرها له، فالعظيم لن يحس رداء المجد على بدنه حتى يتمثل فيه أشواك الخصومة، فإن ذلك أشد بلاغة وأروع أثراً، ولسنا نعرف على التحقيق عظيما من الناس جاءت إليه العظمة من غير هذه الأشواك حتى الرسل والأنبياء المقدسون لم يستطيعوا أن ينشئوا في النفوس البشر مبادئهم السامية إلا بعد أن امتحنتهم الأقدار بالخصومة الشديدة والصراع العجيب.

عن السياسة

ولد شوقي شاعراً وقال الشعر ناشئا وشابا لعل شعر شبابه لم يكن يومئذ عذبا رصين العبارة. لكنك تحس أنه كان يجد في كل مهر من مظاهر

الحياة ميدانا للشعر. كانت لا تعجبه الساعة التي يحمل فيقول:

لي ســـــاعة مــــــن معــــــدن لا يقتنيهــــــــــا مقــــــــــتن

تعجـــــــل دقـــــــاً وتـــــــني مثـــــــل فــــــؤاد المــــــدمن

إلخ إلخ....

وكان يرى في قطة تعبث وفي طفل صغير وفي كل ما حوله من مظاهر الحياة والطبيعة ملهما للشعر وقوله. عاش في باريس ورأى الحياة والحب وعبثهما بالناس فيها فقال في ذلك كثيراً عبثت به يد الزمن أو عبثت به يده هو حين رأى في مكانته من الأمير ما لا يصح معه نشر هذا الشعر. وهو في هذا الطور الأول من أطوار حياته كان شاعر الشباب وشاعر الحياة القوية الحرة المتدفقة بفيض المشاعر والإحساس.

عن الشعب

لقد كان شوقي في شعره عظيما بالغاً غاية العظم، وفي أدبه كثيراً منتهياً إلى قمة الكبر وكان في جيله غريباً بفقده عجيبا؛ فشاء الله أن تكون مصيبتان بفقده عظيمة كبيرة، غريبة عجيبة، فأفقدنا العزاء قبل أن نفقده، وسلبنا السلوى قبل أن نسلبه.. إلى أن قال:

ثم ليس بعد شعر شوقي شعرا أن كان الشعر كما هو ديباجة جذابة ومعان خلابة وروح سامية تحلق بالمرء في تلك السماء الصافية. وليس بعد شوقي شاعر أن كان الشاعر أدباً وظرفا ورقة ولطفاً وخيالا محلقاً وفكراً مواتياً ونظراً صائبا وروحا فياضا وسجية موافية وقوة مسعدة.

عن المساء

انتقل شوقي على حين فجأة من أمة أجلته في حياته إجلال من يقدر الرجل الفذ في عبقريته وذكائه وروعته؛ فأحس أهل البلاد بوقع هذا الخطب فخرجت إلى الصعدات تجتلي من جثمانه الملفلف في إبراد العبقرية النظرة الأخيرة لتعيش عليها في فترة هذا الانتقال الهائل حتى يكون العوض ولا عوض. وكيف لا يكون شوقي جيلا وحده. وهو الذي ترك من بعده كتاباً تقرأ فيه الأجيال المقبلة آيات الوطنية الكبرى ونفحات الشاعرية الخالدة التي بقيت للسابقين الأولين الذين لحق بهم شوقي في ثياب الجلال والخلود ليقتعد وإياهم أرائك المجادة الباقية في فراديس الأبدية.

عن العلم

وإن لم يكن في كتاب شوقي غير قوله:

وإنمـــا الأمـــم الأخـــلاق مـــا بقيـــت فـإن همــو ذهبــت أخلاقهــم ذهبــوا

عن الاتحاد

مات شوقي، فانكسرت القيثارة التي ملأت الدنيا شجى وعزفا، وأخفت صوت البلبل الذي طالما غرد في الرياض وعند مطالع الأقمار، فذهبت بذهابه بهجة الحياة وأنسها، وروعتها وجمالها، لأن شوقي كان في مصر كالنسمة المعطار مرت في جوها ثم فقدناها ونحن أحوج ما نكون إليها، وكان كالابتسامة انفرجت عنها شفتاها، وما هي إلا أن التأمتا فإذا بها كأن لم تكن، وكذلك السر ولا يلبث إلا ريثما يذهب. ولا ينزل بالنفوس إلا وهو مزمع الرحيل.

الجورنال دي كير .. بعنوان "مات أمير الشعراء"

نشأ هذا الرجل شاعراً ونظم الشعر منذ نعومة أظفاره وكانت قريحته الفياضة تجود بالقصائد الشائقة التي استحق عليها أن يلقب بـ "لامرتين" مصر. ولكن لم يكتف بأن يكون كـ "لامرتين" شاعراً رقيق العاطفة عذب الأسلوب، بل أثبت على مر الزمن أن في وسعه أن يطاول "فيكتور هوجو" وأن يبلغ قمة الشعر (الليركي) الغنائي بحسن صياغته ومتانة تعبيره وقوة تراكيبه وقدرته الفائقة على النظم. ولقد تأثر شوقي بهذين الشاعرين الفرنسيين، ولكنه احتفظ مع ذلك بطابعه الشرقي العربي الصميم، وهو أول شاعر عربي كبير وضع روايات مسرحية مثلت على معظم مسارح مصر والشرق العربي.

نعي أحمد شوقي بك في الصحف الإنجليزية

أقوال جريدة التيمس

لندن في ١٥ أكتوبر– لمراسل الأهرام الخاص– نعت جريدة "التيمس" اليوم أحمد شوقي بك، ومما قالته أن الفقيد انضم إلى الحركة الوطنية العربية، كما اشتهر بتعضيدة للجامعة الإسلامية. وكان ينظم القصائد التي تزكي نار الحماسة الوطنية في صدور المصريين؛ فلما أعلنت الحرب العالمية كان بين الذين طلب إليهم مغادرة البلاد. وإليه قبل غيره يرجع الفضل في بناء مسرح الأدب العربي الحديث.

أقوال "المورنن بوست" : أبنته جريدة "المورنن بوست" فقالت : إن شوقي له صيت عظيم وشهرة واسعة في جميع أنحاء العالم العربي. وكان في طليعة الكتاب العصريين الذين يعملون لإثارة روح الحب والإعجاب في نفوس مواطنيهم بآدابهم القديمة وتاريخهم الماضي.

لندن في ١٥ أكتوبر– لمراسل البلاغ الخصوصي: نعت الجرائد الإنجليزية صباح اليوم المغفور له أحمد شوقي بك أمير الشعراء، واقتبست جريدة نيوز كرونكل تلغرافاً من رويتر وصفه به بأنه كان في مصر كتانيسون في إنجلترا شاعر خيال. وكان ينظم القصائد اتباعا لأمر رئيس الدولة للمناسبات المتعلقة بالحكومة.

بيروت في ١٥ أكتوبر– لمراسل البلاغ الخصوصي– نعت الصحف اللبنانية

أمس واليوم أمير الشعراء أحمد شوقي بك، ونشرت صورته، وعزت مصر والعربية على فقده وأرسلت تلغرافات كثيرة إلى مصر وعددت الصحف مواقف شوقي في لبنان وقصائده الرائعة فيه ومجالس الأدب التي كان يعقدها في الصيف في هذه البلاد.

دمشق في ١٥ أكتوبر- لمراسل البلاغ الخصوصي- كان لخبر وفاة أمير الشعراء رنة حزن في دمشق خصوصاً على أثر الحفلة التي أقامها المجمع العلمي العربي أخيراً لتأبين المرحوم حافظ إبراهيم. وقد صدرت الصحف الدمشقية اليوم وفيها سيرة حياة الفقيد وإشادة بفضله على سوريا وبنوع خاص على دمشق التي كان يحبها ويتغنى بتاريخها.

حيفا في ١٥ أكتوبر- لمراسل البلاغ الخصوصي- وجم الناس أمس عندما انتشر في البلاد خبر وفاة أمير الشعراء، وتردد الجمهور في تصديقه فأسرع كثيرون إلى مخاطبة أصدقائهم في مصر بالتليفون، وقد صدرت صحف فلسطين اليوم وبنوع خاص جريدة فلسطين بيافا وفيها تثبيت الخبر وتفاصيل الجنازة وقد أرسلت تلغرافات التعزية إلى مصر.

نوَّه مكتب المقطم الدمشقي بمقال الأستاذ شفيق جبري بك الكاتب الشاعر المجيد نشره في جريدة الأيام الدمشقية، وقد رأينا أن ننشر هذا المقال وهو بعنوان "أحمد شوقي– شاعر لم يظهر مثله من ألف سنة" وهذا نصه:–

كان قلم عبد الله بن المقفع كثيراً ما يقف، فقيل له في ذلك، فقال: "تزدحم المعاني في صدري، فيقف القلم لتحيره". ونحن لما شرعنا في كتابة

هذا المقال، وجمعنا الذهن لتصوير ما أصاب عبقرية الشعر بموت أحمدشوقي شعرنا بما شعر به ابن المقفع، فأدركتنا الحيرة في الأمر، فلم ندر ما نقول، على أن الكلام على شوقي يزدحم في كل صدر يذوق بلاغة الشعر، ويعرفمقدار لعبه بالقلوب، ولئن وجدنا مجال القول ذا سعة فلم نجد اللسان القائل.

لقد ولت هذه الشيخوخة الخصبة التي رجعت بالشعر إلى أيام أبي الطيبالمتنبي في عصر كادت تنقطع فيه الصلة بالقديم، ولكنها لم تول إلا بعد أنأدت إلى العرب وحيها، فنبهت شعورهم، وصفت أذواقهم، وشاركتهم فيكل فرح وحزن ووقفت إلهامها عليهم فأحبتهم وأحبوها، وعظمتهم وعظموها.

ومما يزيد في رونق هذه الشيخوخة الجذلة أنها علمتنا محبة الحياة؛ فقد غرق صاحبها في النعيم سبعين سنة، ففاضت عبقريته بهذا النعيم، فنظر إلى الدنيا من وجهها الضحوك، فأشرقت محاسنها في شعره، فما ينطوي هذا الشعر إلا على الفرح والنعيم.

إلى أن قال: لم تظهر عبقرية شوقي في ديوانه المطبوع من عشرين سنة، وإذا استثنينا بعض قصائد في هذا الديوان قيلت في غرض أسمى من المدح فلا تجد إلا أماديح لا تخلد صاحبها، ولكن هذه العبقرية تجلت خاصة من بعد رجوع شوقي من الأندلس فقد نفاه الإنكليز إلى الأندلس فتحركت نفسه واشتاقت إلى وطنها فطققت النغمات الوطنية تفيض على جنبات شعر شوقي، وإذا لم ينتسب شوقي إلى حزب خاص في مصر معروف بنزعته الوطنية فليس معنى هذا أنه مجرد عن أمثال هذه النزعات، وهذا معنى قولنا أن شعر شوقي صورة بيئته، فإنه لم يخلق في سماء أعلى من

مجتمعه ولم يعتزل هذا المجتمع فيصرف الشعر في أغراض عامة، فيها عاطفة عامة وشعور عام ولكنه تقيد بمجتمعه فبكى لبكائه وفرح لفرحه.

اختصت الصحف السورية جمعيا فقيد الشعر والأدب المغفور له شوقي بك بقسط وافر من صفحاتها؛ فنشرت جريدة (النداء) البيروتية الغراء صفحة كاملة وبعض الصفحة، ونشرت صورة الفقيد بحجم كبير وسط صفحتها الأولى.

ونشرت (**فتى العرب**)الغرَّاء الشيء الكثير عن ساعته الأخيرة وأبرزت مواهبه وسجلت آيات بيانه.

ومما قالته (**النداء**) **الغراء:** امتاز شعر شوقي بأنه كان شرقي الروح عربي الديباجة، وكانت روحه الشرقية تسيل في قصائده سيل الماء في العود فتخلع عليه من نضارتها وحياتها ما تستطيبه النفوس الكريمة، ولا سيما لأنه كان ينزهه عن العنصرية والمذهبية، وكثيراً ما جاء ذكر موسى وعيسى في قصائده إلى جانب ذكر النبي "صلّى الله عليه وسلَّم" العربي مواسيه.

وجاء في مقال لجريدة (**لسان الحال**) **البيروتية**: وإنه لمن نكد الأيام على اللغة العربية وأبنائها أن تصاب بعد حافظ بشوقي، وما شوقي إلا البلبل الغريد ذو الأسلوب الموسيقي الرائع، والخيال الواسع، والإحساس الدقيق، والمعاني الطريفة، وقد رزق شعره رنة وطلاوة جعلته أمير الشعر في كل الأقطار العربية فتغنى به، وذهب منه الكثير مثلا".

إلى أن قالت: "ولشوقي قصائد كثيرة تغنى فيها بلبنان وسوريا، وقد نظم أكثرها في أثناء اصطيافه في لبنان، الربوع التي أحبته وأكرمته، منها قصيدته الهائية في بكفيا، وقصيدته الكافية في زحله، وقصيدتاه القافية

والنونية في دمشق. وليس بإمكاننا الآن إظهار خاصيات شوقي وميراثه الشعرية فذاك يقتضى درسا دقيقا لا كلمة مستعجلة مثل هذه. رحم الله شوقي رحمة واسعة وعزى أقطار العرب عموما ومصر خصوصا عن هذه الفاجعة الكبيرة الثانية وأعاض الأدب العربي خلفا يواصل السير في تعزيز شأنه".

وصدرت جريدة (البيرق) في ١٩ الجاري وفي صفحتها الأولى صورة الفقيد بجانب المغفور له سعد زغلول باشا ونقلت في عددها المشار إليه بعض ما كتب في الصحف المصرية اللبنانية عن أمير الشعراء.

وقالت جريدة (الوادي) اللبنانية التي تصدر في زحلة والتي كانت تربط صاحبها بالفقيد أواصر صداقة متينة وكثيراً ما كان يجلس شوقي في إدارة الوادي في أثناء إقامته في زحلة: "أمام تماثيل "فيدياس" و"مبلو" وعند عتبات "الأهرام" و"بعلبك" أرى رمز الشاعر. تماثيل اليونان توحي "شيئاً من العذوبة" وآثار الفن الشرقي القديم ينزل على الرائي "هالة من الفخامة". روائع الأزميل اليوناني تجعلك تنظر إليها مبتسما، فتؤاخيك بعطف، ثم ترفعك وترفعك إلى سمائها حتى تدني فمك من فمها وتطبع عليه قبلة. وعظمات النحات الشرقي تجعلك وأنت تدنو منها، خاشعا معتبراً، حتى إذا ما تلمست عتباتها خرت نفسك حيرى أمامها تود الابتعاد عن تلك الفخامة المنزلة حولك جوراً من الروعة. لكن كلا الفنين خالد. والشاعر نوعان، يتفقان تمام الاتفاق مع نوعي الفن، وكلاهما خالد. وشوقي الوارث في أعراقه الدم الشرقي القديم، والمسرح أبصاره وأحلام صباه في منعطفات "أبي الهول" والأهرام" إنني لأرى فيه الرمز الوحيد للشاعر الذي ضم في جنانه السليم كلا من الفنين الفخم والعذب.

ونشرت جريدة "العاصفة" البيروتية الأسبوعية صورة كبيرة للفقيد وتحتها البيتين الآتيين لأمير الشعراء:

أقـول لهـم في سـاعة الـدفن خففـوا … علـى ولا تلقـوا الصـخور علـى قـبري

ألم يكــف هـــم في الحيـــاة حملتـــه … فأحمل بعد الموت صخراً على صدري

وقالت جريدة العاصفة اللبنانية في بيروت بعد أن نشرت صورة أمير الشعراء في صفحة كاملة:

بنى للخلود أبراجا عاليات أشرف منها على السماء فلم تعصمه هذه الأبراج عن السقوط في هوة الموت مع كونه ابن الخلود. وشوقي ارتقى ثم ارتقى إلى أن جلس بين الملائكة ولكن الموت انتزعه من عليائه وألقى به في صفوف أبناء الفناء البائدين. لقد مات شوقي. مات وهو يعترف لملك الموت بالظفر. على أنه انتقم من الموت بما أبقى من روائع هي حلية في جيد الدهر أبد الدهر. وهذه الروائع مهما حاول الموت القضاء عليها فإنه لينقلب عنها بلوعة الكاثي الحسير!

وشوقي زعيم جيل كامل في الأدب العربي. هو زعيم عصر سيحمل اسمه في تاريخنا الأدبي. وإذا كان لشوقي ما يفاخر به أنداده وما يسمو به على أقرانه فهي هذه الروايات التي شعر معها فن التمثيل في الشرق بقوة جديدة خالدة تدب فيه.

وإذا وضعنا كل ما نظمه شوقي في كفة والروايات التي أنشأها في آخر عهده في كفة وجدنا كفة الروايات ترجح وتميل. فإن شوقي لخالد في رواياته أكثر منه في قصائده مع كل ما تحويه هذه القصائد من روعة البيان ونفحة الخلود.

ذلك أن شوقي لم يرتفع إلى المستوى الذي وقف دونه الأقدمون من الشعراء لا، فإن هناك فريقاً من زعماء القريض في العصور الغابرة تقدموه، وإذا لم يتقدموه في كل ما نظموا فقد وقفوا وإياه في صف واحد لا يسبقهم في المضمار ولا يسبقونه، أما في رواياته التمثيلية الشعرية فقد سبق الجميع، وكان قائداً مبتكرا مفتول الساعد متين العضل، صاحب العود... فما هان ولا كبا، ولا كان من المقلدين!

وشوقي في شعره الروائي مثله في شعره المعروف، فهو هو ذلك النسر المحلق، بل هو ذلك الموسيقي المبدع الذي يسحرك بفيض وحيه وإلهامه ويتلاعب بلبك وجنانك ويطربك بخمرته ويعلو بك حتى الجوزاء بسمو معانيه وصوره الخلابة ورسومه الفريدة في روعتها ومشاهدها وجلالها، إلا أنه في روايته مبتكر، هو مبتكر ذلك الطراز الراقي الذي لم يسبقه في اللغة العربية أحد إليه. وإذا كان هناك من سبقه إليه فإن شوقي بلغ في هذا الفن مرحلة بل مراحل من الإبداع، وترك الذين سبقوه في أول الطريق.

إلى أن قال: ولقد تمثلت شعرية شوقي في ثلاث (ملاحم) كبرى الأولى هي القصيدة التي حملها إلى مؤتمر المستشرقين في جنيف سنة ١٨٩٤ والثانية هي التي هنأ بها السلطان عبد الحميد بظفره في الحرب اليونانية العثمانية وقد جاءت بعد تلك بسنوات والثالثة قصيدة أدرنه التي نظمت في سنة ١٩١٢ عقب الحرب البلقانية فنعى فيها الشاعر الخلافة وأدرنه إلى الإسلام والمسلمين، وقد أتحف بها الناظم الشعر والعرب بعد تينك المعلقتين بخمسة عشر عاما كان قد نضج فيها شعره وفكره، ومتنت قوافيه واستعلى خياله فحلق كالنسر في أفق الشعر حتى لم يدانية فيه أحد ولم يبلغ مبلغه شاعر:

وقالت جريدة "الأقلام" البيروتية: وبعد حافظ شوقي. وبعد شاعر النيل أمير الشعراء كسوف يتبعه خسوف! فيا لهفة لغة العرب على نوابع الشعراء ويا لهف أرضي وسمائي على بلابل الشعر يطويها الردى في ظلمة القبر!..

مات فيكتور هيجو العرب ومتنبي هذا الزمان. وحامل لواء العبقرية والبيان.

لا يعــرف القــوم الفــتى إلا مــتى مــات فيعطــى حقــه تحــت الثــرى

إنه لم ير (شعراً كإعجاز احمد)

مات الذي تمنى الأخطل الصغير أن (يكون ريشة من جناحه...)

مات الذي بايعه حافظ الشعر حيث قال:

أمــير القــوافي قــد أتيــت مبايعــاً

وهــذى وفــود الشــرق قــد بايعــت معــي

مات الذي عرف قدر عبقريته كل ناطق بالضاد تحت كل سماء تنطق بهذه اللغة الشريفة.

هيئات ومؤسسات تنعي شوقي

كان لنعي المرحوم شوقي بك أمير الشعراء وقع عظيم في العراق كلها. فعم الأسف البلاد مدنها وقراها وخصصت الصحف أعمدة طويلة للإشادة بمآثر الكبير وذكر مناقبه والتنويه بمقامه في عالم الشعر. وكتب أحدهم من الحلة ما يأتي:

بينما كنا صبيحة أمس جالسين في أحد المقاهي بالحلة وإذا بأحد باعة الصحف قد أقبل وفي يده صحيفة تذكر خبر وفاة أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي بك. وكان هناك السيد مُحَمَّد الجبوري فوقف وارتجل الأبيات الآتية:

حـــداداً يا بـــني قـــومي حـــداداً	لـــرزء ألـــبس الـــدنيا ســـوادا
أمـــير الشـــعر شـــوقي قـــد تـــوفى	فعـــزوا فيصـــلا عـــزوا فـــؤادا
عمـــاداً للعـــرب قـــد كـــان شـــوقي	فهـــــد المـــــوت ذياكالعمـــــادا
لـــئن قـــد أبكـــت الأرزاء ناســـاً	فهـــذا الـــرزء قـــد أبكـــى الجمـــادا

نشرت**جريدة "حضارة السودان"** ما يأتي: وافى "شوقي" اليقين وجرى عليه الحق كما كان رحمه الله يقول. اهتز البرق بنعي شوقي وما أخال ناطقاً بالضاد لم يهتز جسمه تحت تيار هذا النبأ الذي تسيل لهوله حبات القلوب وتنفطر الأكباد. "مات شوقي" جملة مكونة من كلمتين فقط، ولكنهما في الواقع تيار كهربائي لمس قلوب بني الضاد في مشارق الأرض ومغاربها فاهتزت له أجسامهم ونضب من قوته معين الدمع من أعماقهم ذلك لأن

"شوقي" كان يتصل بكل تلك القلوب ببيانه الساحر. مات "شوقي" فماتت بموته شناءة الحاسدين.

إلى أن قال: وهكذا عشت حياتك نزيه النفس طاهر القلب مبرأ اللسان فإلى رحمه الله ورضوانه ونعيمه وتلك شفاعة صاحب الشفاعة مهيأة لك كما طلبتها بقولك:

لي في مـــديحك يا رســـول عـــرائس تـــيمن فيـــك وشـــافهن جـــلاء
هـــن الحســـان فـــإن قبلـــت تكرمـــاً فمهـــــورهن شـــــفاعة حســـــناء

وإني بلسان هذه الجريدة أقدم إلى أنجالك وجميع آلك وإلى الفصحى وبنيها أجمعين أجل آيات التعازي.

صدى وفاة شوقي .. تعزية المجمع العلمي العربي السوري

ورد إلى حضرة الأستاذ خليل مطران من العلامة الجليل الأستاذ مُحَمَّد كرد على بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق كتاب هذا نصه: أنت أيها الأستاذ أحق من نعزيه فقيدنا العظيم أحمد شوقي بك بعد أهله وأنجاله وذلك لما بينكما من حب صميم واتصال قديم كما أنك أحق من ينوب عن مجمعنا وأعضائنا بتقديم التعزية إلى المشار إليهم فعسى أن تقوموا بذلك غير مأمورين بل محمودين مشكورين. ونؤمل أن ترسلوا إلينا أحسن صورة فوتوغرافية للفقيد كيما نجسمها ونعرضها يوم حفلة الأربعين على أنظار الجمهور ودمتم سيدي.

رئيس المجمع العلمي العربي– امضا

الحداد على الفقيد

وقد جاءنا من مراسلي "الأهرام" في العواصم والمدن وصف الحزن العميم والأسى الشامل لوفاة "شوقي" وقد اجتمع الأدباء والشعراء منهم وقرروا إقامة حفلات التأبين تخليداً لذكرى الراحل الجليل.

ويقول مندوب من "الأهرام" أن لجنة المباراة في التأليف المسرحي اجتمعت أمس قررت رفع الجلسة ٥ دقائق حداداً على الفقيد من افتتاحية المقتطف أول نوفمبر ١٩٣٢.

شوقي .. لمصطفى صادق الرافعي

هذا هو الرجل الذي يخيل إلى أن مصر اختارته دون أهلها جميعاً لتضع فيه روحها المتكلم، فأوجبت له ما لم توجب لغيره وأعانته بما لم يتفق لسواه ووهبته من القدرة والتمكين وأسباب الرياسة وخصائصها على قدر أمة تريد أن تكون شاعرة لا على قدر رجل في نفسه، وبه وحده استطاعت مصر أن تقول للتاريخ: شعري وأدبي.

شوقي. هذا هو الاسم الذي كان في الأدب كالشمس من المشرق متى طلعت في موضع فقد طلعت في كل موضع، ومتى ذكر في بلد من بلاد العالم العربي اتسع معنى اسمه فدل على مصر كلها كأنما قيل النيل أو الهرم أو القاهرة. مترادفات لا في وضع اللغة ولكن في جلال اللغة.

رجل عاش حتى تم وذلك برهان التاريخ على اصطفائه لمصر ودليل العبقرية على أن فيه السر المتحرك الذي لا يقف ولا يكل ولا يقطع نظام عمله كأن فيه حاسة نحلة في حديقة. ويكبر شعره كلما كبر الزمن فلم يتخلف عن دهره ولم يقع دون أبعد غاياته، وكأنه مع الدهر على سياق

واحد وكأن شعره تاريخ من الكلام يتطور أطواره في النمو فلم يجمد ولم يرتكس، وبقى خيال صاحبه إلى آخر عمره في تدبير السماء كعراض الغمامة سحابه كثير البرق ممتلئ ممطر ينصب من ناحية ويمتليء من ناحية.

من افتتاحية هلال نوفمبر

لسنا نعرف أحداً من رجال الأدب في العالم العربي يجهل شعر شوقي ومكانة شوقي بين الشعراء. ومع ذلك لا نعرف أحداً سمع شوقي يلقي قصيدة في حفلة عامة أو منبر عام. فقد كان هذا الشاعر على علو كعبه ورسوخ قدمه يتوارى عن عيون الناس في وداعة وحياء، وهذه ظاهرة نادرة لا نعرف لها مثيلا بين طائفة الشعراء. فكان شوقي إذا نظم قصيدة لتلقى في حفلة عامة دفع بقصيدته إلى أحد أصدقائه ليتلوها عوضاً عنه وقلما يحضر تلاوتها لأنه كان يكره أن يضايقه الناس بالثناء عليه.

وقلما أجمع الناس على مبايعة أحد أمارة الشعر إجماعهم على مبايعة شوقي بتلك الإمارة ليس في مصر فقط بل في جميع البلاد التي يتكلم أهلها اللغة العربية. وفي الواقع أن شوقي هو من الشعراء القلائل الذين قلما يجود الزمان بمثلهم. ويزيد في قدرة شعره أنه ظهر في عصر يميل إلى المادة ويرغب عن الخيال، حتى لقد بات الشعراء يعدون على الأصابع في جميع أنحاء العالم، إذ صار للماديات المقام الأول في الاجتماع، ومع ذلك استطاع شوقي إذكاء نار الحماسة للشعر في صدور الناس لأن شعره لم يكن من النوع العادي الذي تسمعه "بمناسبة، وبغير مناسبة" من طائفة النظامين المتطفلين على صناعة القريض. بل كان شعره إلهاما لا تسمعه أو تقرأه إلا وتشعر بلذة غامضة لأنه يصل إلى قرارة نفسك عن طريق المقلب والعواطف.

من افتتاحية كل شيء ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٢

ما كادت دمعة الأدب على حافظ تجف حتى أعقبتها اللوعة على أمير الشعراء الذي انتقل إلى رحمته تعالى في يوم الجمعة من الأسبوع المنصرم وترك من بعده فراغا يجزع له منذ الآن رجال الأدب إذ ليس هنالك من يده. ولا يتسع مجال هذه الصفحة للكلام على شوقي بين الشعراء، وإنما نريد أن نقول هذه الكلمة بوجه عام، وهي أن شوقي لم يكن شاعر مصر وأمير الشعراء في مصر فقط بل كان صاحب تلك الإمارة في جميع البلاد التي يتكلم أهلها العربية. ولا تخال تلميذاً في كتاب أو طالباً في جامعة في مصر أو في غيرها من الأقطار العربية إلا ويحفظ لشوقي أبياتاً قد سارت مسير الأمثال. ومن منا يجهل قوله:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولم يجرؤ أحد على منازعة شوقي عرش الإمارة في دولة الأدب فقد كان الجميع يعترفون له بها ويبايعونه عليها.

وقد نشأ هذا الشاعر في أحضان المجد وكان متصلا منذ نعومة أظفاره بالأسرة المالكة. ولذلك جاء شعره مصقولا بعيداً عن خشونة البداوة وعن التغني بالسيف والرمح اللذين اعتاد أن يتغنى بهما شعراء العرب الأقدمون. وقد ظهرت آثار البيئة التي نشأ وترعرع فيها ظهوراً جلياً في جميع ما كتبه ونظمه. ومع علو كعبه في القريض كان كثير التواضع يكره الظهور ولا يخاطبك إلا بوداعة واحترام بل لقد يخيل إليك إذا ذكر اسمه أن الحياء يعلو محياه.

حزن المؤتمر النسائي في دمشق

بيروت في ١٧ أكتوبر– لمراسل الأهرام الخاص– وصل نعي أمير الشعراء شوقي بك إلى المؤتمر النسائي بدمشق في حفلة افتتاحه فوقف حقي بك العظم رئيس الوزارة السورية ونعي الفقيد العظيم لأعضاء المؤتمر فاستولى الحزن على نفوسهم وسالت العبرات من عيونهم وصمتوا دقيقتين، وكاد المؤتمر يتجول إلى حفلة تأبين وكانت النساء أشد الحاضرين حزنا.

الحزن في مدارس سوريا ولبنان

وقد عطلت مدارس كثيرة في سورية ولبنان أعمالها بضع دقائق إظهارالحزن والحداد. وتواصل الصحف السورية واللبنانية نشر رسوم الفقيدوسيرته وقصائده وحوادثه في لبنان في فصل الصيف وأشعاره الخالدة عن الشامولبنان.

وقد كادت أحاديث المجالس في البلاد كلها تتحول عن السياسة والأحداث المنتظرة لوصف هذا المصاب الفادح الذي حل بالعربية كلها، ولا حديث للشعراء والأدباء سوى هذا المصاب ورثاء أمير الشعراء وتأبينه.

يافا في ١٧ أكتوبر- لمراسل الأهرام الخاص– قررت جمعية البنات العربية في نابلس إقامة حفلة تأبين كبرى للمرحوم شوقي بك أمير الشعراء في يوم الأربعين، وقد بدأت تستعد لذلك من الآن. وستكون هذه الحفلة من الحفلات الفريدة في بابها.

بيروت في ٢٠ أكتوبر- لمراسل الأهرام الخاص– قرر المجمع العلمي في دمشق إقامة حفلة تأبين كبرى لشوقي بك في يوم الأربعين.

تأبين أحمد شوقي بك في الصحف الإنجليزية

لندن في ٢٠ أكتوبر- لمراسل الأهرام الخاص- نشرت جريدة "التيمس" اليوم رسالة للأستاذ جورج قطاوي أتى فيها على نبذة من حياة أحمد شوقي بك وأكبر أعماله ثم ختمها بقوله: "إن وفاة احمد شوقي بك خسارة مروعة للأدب المصري لأن الفقيد يعد أنبغ من ورثوا سادة العصر الأدبي".

وكانت أوتار القيثارة العربية خافتة أو صامتة من زمن طويل إلى أن جاء شوقي وبعض أترابه فلعبوا عليها بأناملهم فأشجتنا بأنغام لا تقل حسنا عن عهد العباسيين.

وقد كتبت جميع الجرائد والمجلات المصرية بما لا يخرج عن هذه المعاني. مثل مجلة "أبولو" وقد خصصت عدد يصدر في أول ديسمبر سنة **٩٣٢** مثل مجلة روز اليوسف "الصباح" "اللطائف المصورة" إلخ....

في عاصمة شرقي الأردن

عمان في ٢٧ أكتوبر– لمراسل الأهرام الخاص– ستقام في عمان حفلة تأبين كبرى لفقيد الأدب العربي شوقي بك ويعد الشيخ فؤاد الخطيب قصيدة رثاء رائعة سيتلوها في الحفلة.

برقية حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون إلى نجل الفقيد

إن القمة العالية التي رقي إليها والدكم العظيم وحده بعبقريته وشعره الخالد لن يخفض منها الموت قيد شعرة بل يزيدها علما وارتفاعا ووالد يترك هذا الميراث الباذخ لأبنائه وأمته لا يخص العزاء فيه أهله ولولا أن العادة

جرت بذلك لاستوى معك سائر الناس في توجيه رسائل الناس إليهم في هذا الخطب الجلل الذي عم الشرق بأسره رحم الله الفقيد العزيز وألهمنا وإياكم والأمم العربية جمعاء جميل الصبر والعزاء.. عمر طوسون

من فخامة رئيس الجمهورية السورية

عز على كثيراً نعى الرفيق الصديق أمير الشعراء وإني أشارككم في هذه النائبة التي ألمت بشعوب العربية كلها ..مُحَمَّد على العابد

من نائب المندوب السامي

حضرة المحترم على شوقي أفندي .. فوجئنا بنعي والدكم أمير الشعراء أحمد شوقي بك، وقد كلفني سعادة المستر كامبل نائب المندوب السامي أن أبلغكم خالص التعزية وأعرب لكم ولأسرتكم عن شديد أسفي لهذا المصاب الأليم بوفاة الفقيد فقد خسرت مصر عظيما من عظماء أبنائها وانهار أهم ركن من أركان الشعر العربي وأدبه. وإني أنتهز هذه الفرصةلأقدم لكم جميعاً خالص العزاء في هذا المصاب الجلل تغمد الله الفقيدبواسع رحمته وألهمكم جميعاً جميل الصبر والسلوان. وتفضلوا بقبول احترامي.

ي. أ. سمارت السكرتير الشرقي لدار المندوب السامي

حزنا حزناً شديداً لوفاة المرحوم والدكم ونعزيكم خالص التعزية ونطلب لكم الصبر الجميل. يحيى إبراهيم رئيس مجـــلس الشيوخ

أعزيكم في عزيزكم الوالد وعزيز أصدقائي. له الرحمة الواسعة ولكم الصبر الجميل

توفيق رفعت

رئيس مجلس النواب

بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن بنك مصر ومنشآته وحضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا لغيابه خارج القطر أشاطركم الحزن في مصابكم، مصاب الأدب بفقد أميره وحامل لوائه في الشرق. وأسأل الله أن يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه، وأن يلهمكم وعارفي فضله وأدبه جميل الصبر وحسن العزاء. فؤاد سلطان

أشترك معكم بقلبي في الحزن على شاعر الوطنية وشاعر العربية الأكبر في ذمة الله شعره الخالد الذي سيبقى على الدهر عنواناً لمجد مصر وعظمة الشرق. إنا لله وإنا إليه راجعون عبد الرحمن الرافعي المحامي

أعزيكم ونفسي والعرب أجمع عن فقيدنا الأكبر شوقي بك. عظم الله فيه الأجر وألهمنا الصبر.

فؤاد الخطيب (عمان)

القدس (تلغرافياً):

أعزى أخوي عليا وحسينا ونفسي وأعزى مصر والإسلام والعرب والشرق بالنابغة الأكبر والشاعر الخالد الأعظم أحمد شوقي. إنا لله وإنا إليه راجعون إسعاف النشاشيبي

لندن في ١٤ تلغرافيا– لكم تعزيتي الخالصة.

دكتور حافظ عفيفي

لبنان مفجوع مع شقيقته مصر بفقيدها العظيم الخالد في الدارين أمير الشعراء. أجزل الله له الرحمة ولكم ولمصر العزاء

ميشيل ذكور صاحب جريدة المعرض

إن جمعية الأزهر العلمية ترفع لكم جميل العزاء في هذا المصاب العظيم الذي نزل بالأمة العربية جمعاء بانتقال المرحوم أحمد شوقي بك من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية. وتسأل سبحانه وتعالى أن يلهمكم جميل الصبر على هذا المصاب وأن ينزل على جدث الفقيد صيب الرحمة والرضوان. على أحمد الجرجاوي رئيس جمعية الأزهر العلمية

من رئيس الوزارة العراقية

سمعت الآن بالفاجعة العظمى التي أصابت الأمة العربية بوفاة أمير بيانها أرجو قبول تعازي القلبية.

نوري السعيد

من صاحب الأهرام

إزاء هذا المصيبة الفادحة أبادر بمشاركتكم في أحزانكم باريس."تقلا"

يتقدم مجلس إدارة جمعية العروة الوثقي بواجب العزاء لأسرتكم الكريمة في المصاب الجلل بوفاة المغفور له أحمد شوقي بك لما للفقيد من المكانة الرفيعة في الأدب وخدمة العلم رحمه الله رحمة واسعة.

رئيس الجمعية

نشاطركم الأحزان في فجيعة مصر والشرق بأمير الشعراء.

الشبان الأندوسيون بمصر

نعزيكم والأمة العربية بعبقري الشعراء وأميرهم.

جمعية الشبان العربية بثانوية النجاح بنابلس

طلبة قسم الآداب بالتوفيقية الثانوية بطنطا تشاطركم الأحزان في مصاب مصر الجلل وتسأل للفقيد الرحمة الواسعة ولكم ولمصر الأسيفة الصبر. طلبة قسم الآداب

طلبة مدرسة عابدين للمعلمين يرون واجباً عليهم مشاركة إخوانهم الطلبة في زيارة قبر أمير الشعراء والاجتماع بميدان الإسماعيلية حسب الميعاد المتفق عليه في يوم الخميس ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٣٢.

عن طلبة المدرسة: مُحَمَّد مجاهد بلال.

عبد السلام محمود

كان لمصابكم أسوأ الألم في نفوس طلبة الكفاءة بالتوفيق القبطية بطنطا فلكم الصبر الجميل.

عن الطلبة: عبد اللطيف منسى.

حسن أبو جازيه

جماعة الأدب المصري تشاطركم الأسى وتعزي العالم العربي.

عن الجمعية .. البحراوي عوض

يافا في ١٦ تلغرافياً- خسارة العرب لا تعوض بفقد أمير شعرائهم أسكنه الله فسيح جناته. النادي الرياضي الإسلامي- يافا

إن مصاب الموسيقى في شوقي لا يقل عن مصاب الشعر والأدب وما فجيعة الموسيقية في شوقي بأقل من فجيعة أسرته فيه. ولا نقول عوضهم وعوضنا خيراً في فقدانه لأن شوقي لا يعوض بل نقول ألهمهم الله وألهمنا جميل الصبر والسلوان.

أعضاء نقابة ومعهد الموسيقى الشرقي

نابلس في ١٧- جمعية الشبان المسلمين في نابلس تعزي أمة العرب بشاعر الدهر الخالد وأديب الزمان الأعظم..سكرتير جمعية الشبان المسلمين أحمد الشكعه

برلين في ١٤ أكتوبر تلغرافياً- مصاب العربية عظيم بوفاة أمير الشعراء وقد انهلعت قلوبنا له فلنا العزاء فيه جميعاً.

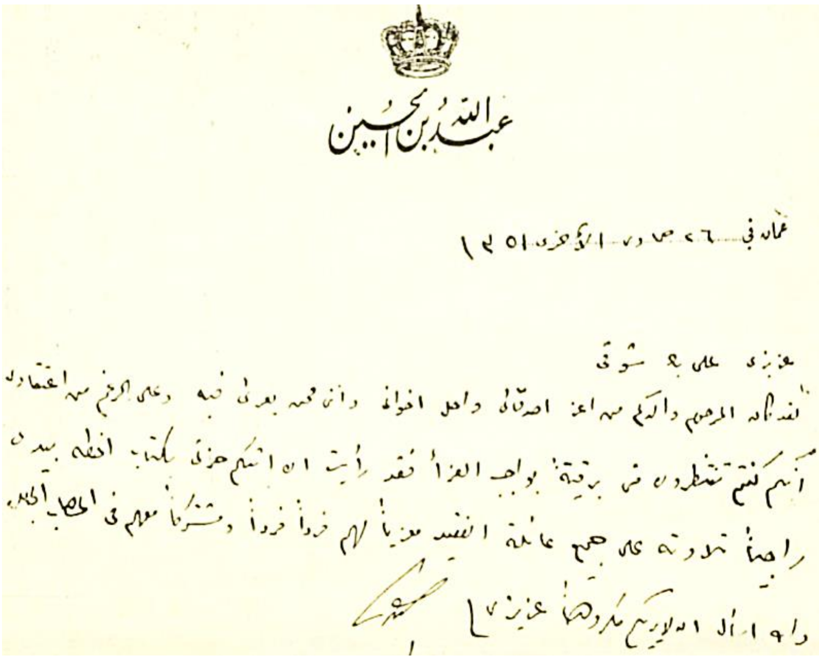
الدكتور بيضا ببرلين

من المجلس الإسلامي الأعلى

حضرة الكريم المفضال الأستاذ علي شوقي المحترم السلام عليكم ورحمة الله..

أما بعد فقد كان للخسارة الكبيرة والفاجعة الأليمة التي انتابت العربية بنابغتها الكبير وعبقريتها الفذ المرحوم أمير الشعراء رنة أسى وحزن عمت الأقطار الإسلامية والعربية فالمصاب عظيم والخطب جلل نسأل الله أن يحسن العزاء وأن يلهم الصبر ويتغمد الفقيد بالرحمة وإنا لله وإنا إليه راجعون. أمين الحسيني .. رئيس المجلس الإسلامي الأعلى

وددت لو أني كنت فداء الشاعر الخالد رحم الله الصديق شوقي وأحسن إليكم بالعزاء.. معروف الأرناؤوط



عبد الله بن الحسين

عمان في ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥١

عزيزي علي بك شوقي

لقد كان المرحوم والدكم من أعز أصدقائي وأحب إخواني وإن فقده يعز علي جداً وعلى الرغم من اعتقادي أنكم كنتم تنتظرون مني برقية بواجب العزاء فقد رأيت أن أشاطركم حزنكم بكتاب أخطه بيدي راجياً [illegible] على جميع عائلة الفقيد عزيزاً لكم فرداً فرداً ومشتركاً معكم في المصاب الجلل.

[illegible] عزيزي [illegible]

كتاب حضرة صاحب السمو أمير شرق الأردن بخطه

إن مصاب البلاد في والدك الكريم مصاب العربية في أعز أبنائها أسأل الله تعالى أن يجعل من اسمه الخالد مناراً يهتدى به رجال الأدب بعد مماته كما كان لهم إماماً في حياته.

علي ماهر

طرابلس لبنان

علمنا الساعة خبر وفاة المرحوم والدكم أمير الشعراء وصديقي القديم فإلى جنة الله الفيحاء روحه الخالدة ولكم وأفراد أسرتكم الكريمة وجميع الأمة العربية الصبر الجميل وحسن العزاء.

محمد طلعت حرب

نشرت مجلة النيرايست الفصل الآتي تعربيه:

توفي في منزله بالقاهرة– يوم ١٣ أكتوبر– شوقي بك الذي ولد في سنة ١٨٦٨ وكان معروفاً بأنه أشعر شعراء العربية في العصر الحديث وذهب بعض المعجبين به إلى حد القول بأنه كان نظيراً لأعظم شعراء الزمن القديم. وكان أحمد شوقي حفيد ضابط من أصل كردي وفد على مصر مع محمد على لمائة وثلاثين سنة خلت. وقد تلقى دراسته في القاهرة ثم شخص إلى مونبليه حيث حصل على درجة في القانون. ولعل من مصادفات القدر المدهشة أنه أرسل إلى مونبليه لا إلى مكان آخر لأن مونبليه هي آخر مدينة عاشت فيها ثقافة العصور الوسطى العربية في جنوب فرنسا وأيضا لأنه في الوقت الذي كان فيه شوقي طالبا هناك كان يزامله في الجامعة شاب آخر في مثل سنه وهو بول فاليري شاعر فرنسا الأول في العصر الحديث وتشاء الصدفة أن يكون الشاعران متفقين في بعض مميزاتهما. والواقع أن الشاعر الفرنسي تأثر بقراءة كتاب ألف ليلة وليلة الذي ترجمة الدكتور ماردوس وأهداه إلى فاليرى نفسه. والأثنان شوقي وفاليرى يحسنان "موسيقى الألفاظ" ذلك العلم الخفي الذي يستمد من غير المنظور مؤثرات نادرة. ففنهما يتألف من أوزان محكمة وتنغيم وتوافق مع أمواج من التناسب وكلاهما يعنى بالألفاظ كما كان يفعل شكسبير الذي قال عنه بعضهم أنه يحب الألفاظ من أجل الألفاظ.

وانقاد المعادون يقولون أن شعر شوقي يعتمد على الشكل أكثر مما يعتمد على الفكرة ولكن أليس هذا شجار عقيم لأن في الصورة المجتمعة وفي ندرة العناصر وتناسب الجمع نوع من القوة الإلهية كما يقول فلوبير.

أحب أن أنقل عن شوقي ذلك الشاعر الحاذق الموجز حكاية الحب التي وردت في بيت واحد.

نظـــــرة فابتســـــامة فســـــلام   فكـــــلام فموعـــــد فلقـــــاء

وكان شوقي محبوباً ومشهوراً بشكل هائل لافي مصر وسوريا فقط ولكن أيضاً في كل أنحاء العالم العربي. وكان شوقي بك في طليعة الكتاب المصريين العصريين الذين جعلوا كدهم أن يلهموا أمتهم حب ماضيها التاريخي والأدبي وبهذه الفكرة كتب شعرا قصصيا عن توت عنخ آمون وكليوباترا، والأخيرة رواية شعرية مثلت مرات عديدة في الشتاء الماضي في القاهرة، وهو قد كتب أيضا قصيدتين ممتازتين عن أبي الهول والنيل وقد ترجمتا إلى اللغة الفرنسية وهما معروفتان جيدا. وأقواله الفلسفية شائعة وهناك صحيفة عربية تنشر كل يوم تقريبا واحدا من أمثال شوقي من مثل قوله: بين الصبر والجبن جسر رفيع مثل الشعرة.

تأبين شوقي في الجامعة الأمريكية

اجتمع طلبة الجامعة الأمريكية لتأبين أمير الشعراء شوقي بك؛ فوقف عميد كلية الآداب والعلوم المستر رسل جولت وألقى كلمة طيبة عن شوقي أشار فيها إلى المنزلة الأدبية العظيمة التي وصل إليها في عالم الشعر والنثر وبين أن الأوروبيين والأمريكيين المتصلين بمصر يقدرون شوقي أتم التقدير ويغبطون مصر على ما وصلت إليه بفضل نبوغه من الزعامة الأدبية.. ثم وقف الدكتور زكي مبارك فألقى خطبة ضافية عن الجوانب البارزة في شعر شوقي وفصل الكلام في نواحي التجديد التي امتاز بها ذلك

الفقيد العظيم وتكلم عن فضله على المسرح ونهوضه باللغة الفصيحة التي ظن بعضهم أنها تعجز عن تأدية المعاني المسرحية، وقد وقف طلبة جميع الفصول خمس دقائق حداداً على أمير الشعراء وهم يقدمون تعزيتهم إلى أنصار الأدب في جميع الأقطار العربية.

على قبر شوقي

في الساعة العاشرة من صباح الجمعة زار قبر المغفور له أحمد شوقي بك أمير الشعراء أعضاء رابطة الأدب الجديد وهم حضرات الأساتذة كامل كيلاني ومحمود أبو الوفا والدكتور أبو شادي وعلى مُحَمَّد بركة وسيد إبراهيم وسليم قبعين وغيرهم من الشعراء والكتاب وزارة أيضاً أعضاء جمعية الشبان الحجازيين ومحفل الشرق الأكبر وهيئات أدبية أخرى وطلبة من دار العلوم ومن الأزهر الشريف وقرأوا جميعاً الفاتحة على روح الشاعر الكبير ونثروا على قبره الأزاهير.

وقد ألقى الأستاذ محمود أبو الوفا وهو يطوف بالضريح هذه الأبيات:

طوفــوا بقــبر العبقريــة وانشــقوا	أرج الخلــود الســاطع الفــواح
طوفــوا بــه وتنســموا مــن روحــه	مــا كــان مــن نبــل بــه وسمــاح
يثـوي هنـا شـوقي الـذي لـو يفتـدى	لفــداه خــير النــاس بالأرواح
يثـوي هنـا شـوقي العظـيم فيالـه	قــبر حــوا جــيلا مــن الإصــلاح
شــوقي يزملــك الخلــود بنــوره	والــذكر كــل عشــية وصــباح
نم في جــوار الله وانــزل عنــده	مــن جنــة المــأوى بخــير جنــاح

سيظل اسمك للبيان كأنه في جبهة الأيام نجم ضاح

وقد صدر هذا الكتاب وجميع الهيئات والجمعيات قائمة بحفلات التأبين في مصر وفي جميع البلاد العربية- هذا- ولا تزال وفود الطلبة وجميع الهيئات يزورون قبر الفقيد العظيم وينثرون على قبره الأزاهير "رحم الله أمير الشعراء".

الفهرس